قيس سعيد: الدولة ملزمة بضمان الحق في بيئة سليمة ومتوازنة

ص2

هاجر خنفير

الحرية والكرامة مقولتان خطيرتان عندما تتعلقان بالنساء

ص9

طقوس عاشوراء تراث سومري عراقي يتجاوز الانتماء الطائفي

ص15

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2025/07/13

18 محرم 1447

السنة 48 العدد 13543

Sunday 13/07/2025

48th Year, Issue 13543

خلال زيارة الشرع إلى أذربيجان: لقاء إسرائيلي - سوري اختباري يناقش الاختراقات على الحدود

الشرع يبحث عن الغاز في أذربيجان

دمشق - أفاد مصدر دبلوماسي في دمشق السبت بأنّ لقاء مباشرا سيجمع مسؤولا سوريا ومسؤولا إسرائيليا في باكو على هامش زيارة يجريها الرئيس السوري أحمد الشرع إلى أذربيجان، في وقت يرى فيه مراقبون سوريون أن هذا النوع من اللقاءات لا يؤشر إلى تسريع في التطبيع، ولكنها لقاءات اختبارية وأن المناقشة لا تتجاوز القضايا التقنية وبالأساس الوجود العسكري الإسرائيلي على الأراضي السورية.

ولا يريد الشرع أيّ صدام مع إسرائيل، ولذلك فهو يراهن على الدور الأميركي لفتح قنوات مع تل أبيب تمكن من مناقشة الانسحاب الإسرائيلي وعدم المضي في إحراج دمشق، لكن من دون تعهدات من الشرع بمفاوضات مباشرة أو تطبيع مع حكومة بنيامين نتنياهو.

وقال المصدر المطّلع على المحادثات، مفضلا عدم الكشف عن هويته، "سيكون هناك لقاء بين مسؤول سوري ومسؤول إسرائيلي على هامش الزيارة التي يجريها الشرع إلى باكو،" مشيرا إلى أن الشرع لن يشارك فيه.

وقال إن المحادثات ستتمحور حول "الوجود الإسرائيلي العسكري المستحدث في سوريا" في إشارة إلى مناطق توغّلت فيها القوات الإسرائيلية في جنوب سوريا بعد سقوط حكم بشار الأسد قبل أكثر من سبعة أشهر.

وفي حين لم تعلن دمشق رسميا عن محادثات مباشرة، فإن حكومة الشرع أقرّت منذ وصلت إلى الحكم في ديسمبر بحصول مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل، تقول إن هدفها احتواء التصعيد، بعدما شنّت الدولة العبرية المئات من الغارات على الترسانة العسكرية السورية وتوغلت قواتها في جنوب البلاد عقب الإطاحة بالأسد من الرئاسة.

وتربط دمشق هدف المفاوضات غير المباشرة مع إسرائيل بالعودة إلى تطبيق اتفاقية فضّ الاشتباك لعام 1974، لناحية وقف الأعمال القتالية وإشراف قوة من الأمم المتحدة على المنطقة منزوعة السلاح الفاصلة بين الطرفين.

> الشرع لا يريد أي صدام مع إسرائيل، ولذلك يراهن على وساطة تمكن من مناقشة الانسحاب الإسرائيلي دون تصعيد

وأعلنت سوريا في وقت سابق في يوليو عن استعدادها التعاون مع واشنطن للعودة إلى اتفاق فضّ الاشتباك.

وكانت إسرائيل أعربت عن اهتمامها بتطبيع العلاقات مع سوريا ولبنان في تصريحات لوزير الخارجية جدعون ساعر. لكن دمشق وصفت التصريحات عن توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل بأنها "سابقة لأوانها"، بحسب ما نقل التلفزيون السوري الرسمي عن مصدر رسمي.

وخلال زيارة إلى لبنان في 7 يوليو، قال المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا توماس باراك إن "الحوار بين سوريا وإسرائيل قد بدأ."

والتقى الشرع الرئيس الأميركي دونالد ترامب على هامش زيارته إلى الرياض في مايو. وقال ترامب حينها إن الشرع أبدى تجاوبا حيال مسألة التطبيع.

وقال لصحافيين "قلت له (الشرع): آمل أن تنضموا (إلى الاتفاقات الإبراهيمية) بمجرد أن تستقر الأمور، فقال نعم. لكن أمامهم الكثير من العمل."

ومنذ وصوله إلى الحكم، أكد الشرع أن سوريا لا ترغب في تصعيد أو صراع مع جيرانها. ودعا لاحقا المجتمع الدولي للضغط على إسرائيل من أجل وقف هجماتها.

ولا تزال سوريا وإسرائيل رسميا في حالة حرب منذ العام 1948.

ووصل الشرع السبت إلى باكو في زيارة رسمية حيث التقى الرئيس الأذري إلهام علييف، كما أعلن البلدان. وأعلنت أذربيجان أنها ستبدأ بتصدير الغاز إلى سوريا عبر تركيا، بحسب ما جاء في بيان للرئاسة الأذرية.

وأعرب علييف عن أمله في أن تسهم زيارة الشرع إلى باكو "في تطور العلاقات الثنائية بصورة جوهرية."

وشكر الشرع علييف على "دعم (أذربيجان) الأخوي لسوريا" وقال إن حكومة الأسد أضرت بالعلاقات مع عدد من الدول، ومن بينها أذربيجان، وفقا للخدمة الصحفية للرئيس الأذري.

هل سيكون من مصلحة إسرائيل سلوك مسار التطبيع مع السعودية

لندن - تتجه الأنظار إلى السعودية لمعرفة قرارها بشأن فتح باب الحوار حول التطبيع مع إسرائيل. ورغم أن المملكة تضع شروطا واضحة قبل تجاوز العتبة التي تثير الجدل إقليميا، كما لو أن الأمر محرج لها ولسياساتها، لكن الواقع يقول إن السعودية لا تخشى التطبيع على عكس إسرائيل التي قد يسحب منها موقف إيجابي من الرياض بشأن التطبيع الكثير من المسوّغات التي ترفعها.

ويتعامل الإسرائيليون مع موضوع التطبيع مع السعودية بخفة، وكأنه تحصيل حاصل، أو أن إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب ستفرضه على المملكة في سياق الصفقات الدفاعية والاقتصادية، دون تساؤل عن متطلبات التطبيع مع قوة إقليمية في حجم السعودية سياسيا واقتصاديا ودينيا.

وبدد ترامب خلال جولته الخليجية فكرة الضغط على السعودية لجرها إلى مربع التطبيع. وقبل ذلك تم تسريب معلومة تفيد بأن الولايات المتحدة لم تعد تطالب السعودية بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل كشرط لتطوير الشراكة متعددة الجوانب معها.

وأثارت مرونة ترامب في الحديث إلى القيادة السعودية وإطلاق تصريحات تشيد بالقيادة ودور المملكة قلق الإسرائيليين، الذين كانوا يعتقدون أن الرئيس الأميركي سيضع مصلحتهم قبل مصلحة بلاده في الجولة الخليجية، وخاصة في لقاءاته بالرياض.

بالنسبة إلى الإسرائيليين احترقت ورقة ترامب والضغوط على السعودية أو تخويفها بتوسيع دائرة الحرب في الإقليم. وعلى العكس خرج الموقف السعودي أقوى بأن جدد المسؤولون التأكيد على أن لا تطبيع قبل وقف الحرب في غزة وإنجاد الفلسطينيين وتقديم المساعدات العاجلة لسكان القطاع، وأنه لا يمكن الحديث عن تطبيع في قلب الحرب، وهو ما أشار إليه وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان قبل أسبوع.

وتمسك السعودية بمضمون مبادرة السلام العربية لعام 2002 ومحورها حل يقوم على خيار دولتين؛ فلسطينية وإسرائيلية، وهذا ما يزيد الضغط على إسرائيل التي يسيطر عليها تيار يميني متطرف يرفض الحديث عن دولة فلسطينية. وطالما أن إدارة ترامب لا تفكر في الضغط على السعودية بشأن التطبيع وتضع مصالحها الإستراتيجية قبل أي شيء خاصة مع تجذر توجه سعودي – خليجي نحو تنويع الشركاء وعقد صفقات كبرى مع الصين والهند واليابان وكوريا، ما بات يهدد فكرة أن واشنطن لديها الأولوية في الخليج.

ولا تبحث إسرائيل عن تطبيع مع السعودية بقدر ما تبحث عن استثمار سياسي لهذه القصة للإيحاء بأنها فرضت نفسها على دول المنطقة وأن قادتها يسعون لإقامة علاقات معها، فيما التطبيع يعني فتح الطريق أمام خيار السلام بدءا من إحياء السلام في الملف الفلسطيني وصولا إلى سلام متعدد الأوجه أمنيا واقتصاديا وسياسيا، وهو ما يتعارض مع طبيعة الحكومات اليمينية المهيمنة في إسرائيل.

وبالتوازي خسرت إسرائيل ومعها الولايات المتحدة ورقة التخويف بإيران لجر الخليجيين إلى التطبيع تحت الإكراه بعد أن فتحت دول المنطقة قنوات الحوار مع طهران ونجحت في بناء الثقة معها ومناقشة حل القضايا الخلافية سلميا، ما يسحب من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ورقة التخويف من إيران وأن بلاده قادرة على حماية الخليج.

وقال نتنياهو بعد نهاية حرب الاثني عشر يوما "لقد قاتلنا بقوة ضد إيران وحققنا نصرا عظيما يفتح فرصة لتوسيع نطاق اتفاقيات السلام بشكل كبير، ونحن نعمل بجد لتحقيق ذلك."

وإذا قبلت إسرائيل بالتخلي عن فكرة التفوق العسكري والأمني وركزت على الاندماج الاقتصادي والتجاري مع محيطها، فإنها قد تفقد نقطة قوتها الوحيدة، وستكون مهددة بالذوبان في محيط خليجي يشهد اهتماما دوليا كبيرا ليس فقط في الاعتماد على تجارة النفط، ولكن لبناء شراكات اقتصادية وتجارية ثنائية وجماعية، والتحول إلى محور للبرامج والخطط التي تربط بين شرق آسيا وأوروبا، سواء المشاريع الصينية أو الهندية.

ولا يجد السعوديون، والخليجيون عموما، أيّ ضير في أن تكون إسرائيل جزءا من منظومة إقليمية مدعوما أميركيا شريطة أن تكون مستعدة لذلك وأن تتخلى عن منظومتها السياسية التي تريد السيطرة على الإقليم، وترفع منسوب العنف بشكل يشجع على تقوية الحركات العنيفة في المنطقة.

لكن هل ستكون إسرائيل قادرة على الدخول في شراكات إقليمية تنزع منها فكرة الرهان على القوة العسكرية وتحولها إلى طرف تكمن قوته في قدرته الاقتصادية والتجارية ومرونة اقتصاده. وهذا التغيير من شأنه أن يمهد لاندماجها في الإقليم بدلا من العزلة الحالية وسيادة خطاب الكراهية تجاهها.

وقد تستفيد إسرائيل من وزن السعودية الديني والتاريخي في تحصيل مقبولية لدى الشعوب. لكن كل هذا مرهون بمدى تقبلها لفكرة السلام والتوقف عن التدخلات العسكرية وتقديم تنازلات حقيقية تقود إلى فتح الباب أمام قيام دولة فلسطينية يتمتع مواطنوها بالحق في العيش الكريم وفق مقاييس القانون الدولي.

وعلى عكس إسرائيل، فإن السعودية ستكون أكبر مستفيد من تطبيع يحقق شروطها ويكون في مستوى التزامها بالقضية الفلسطينية وينتصر للمبادرة العربية 2002 التي هي في الأصل مبادرة سعودية. كما أن التزام إسرائيل بالاندماج في الإقليم على قاعدة الشراكة الاقتصادية يتيح للمملكة أن تتفرغ لتنفيذ مشاريعها المستقبلية الكبرى. لكن الأهم أنه يحقق لها نصرا مضاعفا ضد المتشددين الذين يركبون موجة العداء لإسرائيل للتشكيك في دور المملكة ووزنها في الإقليم، ويسحب من إيران البساط ويدفعها إلى التفرغ لمعالجة قضاياها الداخلية.

> الأمير فيصل بن فرحان
> لا تطبيع قبل وقف الحرب في غزة وإنجاد الفلسطينيين وتقديم المساعدات العاجلة لسكان القطاع، ومن بعدها لكل حادث حديث

مؤسسات دينية مصرية تضع نفسها في سلة واحدة مع الإخوان

القاهرة - وضعت ثلاث مؤسسات دينية عريقة في مصر نفسها في سلة واحدة مع جماعة الإخوان المسلمين الموضوعة على قائمة الإرهاب في دول عدة، عندما وجهت انتقادات حادة لوفد "أئمة أوروبيين" قام بزيارة إسرائيل أخيرا، ولم تنتبه المؤسسات المصرية، وهي: الأزهر ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف، إلى أنها تقدم خدمة للإخوان الذين تناصبهم القاهرة العداء، وترى في توجهاتهم خطرا بالغا على الدولة.

ودخلت المؤسسات الثلاث على خط وفد الأئمة وفي ذهنها برودة سياسية تخيم على العلاقات بين مصر وإسرائيل منذ قيام حركة حماس بعملية طوفان الأقصى قبل نحو عامين، وما تلاها من خلافات أمنية وسياسية وإنسانية بين القاهرة وتل أبيب.

ويقول متابعون إن الموقف المتشدد للمؤسسات الثلاث قد يحرج الحكومة المصرية عندما تجد خطابها قريبا هذه المرة في الكثير من مفرداته ومضامينه مع تصورات جماعة الإخوان تجاه إسرائيل، وسوف تشعر بالخوف من استمرار نفوذ الإخوان داخل مؤسسات دينية رسمية، حيث تلقت الحكومة تحذيرات سابقا من اختراقهم للأزهر.

ويضيف المتابعون أن الأزهر، من حيث لا يدري، أوحى بأن مواقفه المتشددة من العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، تصب في مصلحة حركة حماس ذات الجذور الإخوانية، وقد لا تفيد في الدفاع عن الفلسطينيين الذين يتعرضون للتنكيل منذ 21 شهرا، أو تدعم مواقف القاهرة الرافضة لاستمرار العدوان على غزة، والحريصة أيضا على تقويض النفوذ المعنوي للمتطرفين في كل المؤسسات المصرية.

وينطوي الموقف من وفد الأئمة الأوروبيين على تجاوز صريح لدور الأزهر، والذي يحرص كثيرا على أن يكون على يمين السلطة المصرية في تقديراتها للحرب على غزة، معتقدا أنه يقدم خدمة للدولة ويراكم مكاسبه السياسية، لكنه يساهم في تقليص دور القاهرة في أيّ ترتيبات إقليمية، لأن رؤية المؤسسات الدينية في بعض القضايا الحيوية يتم التعامل معها كصدى صوت رسمي خفي يتردد في قلب مصر.

واستنكرت مشيخة الأزهر الزيارة التي أجراها لإسرائيل أخيرا وفد من "أئمة أوروبيين"، ووصفت من شاركوا فيها بأنهم "فئة ضالة لا تمثل الإسلام والمسلمين."

> الموقف المتشدد للأزهر ودار الإفتاء يحرج الحكومة عندما تجد خطابهما في الكثير من مفرداته يلتقي مع تصورات جماعة الإخوان

واعتبر الأزهر في بيان له، الخميس، أن هؤلاء الأئمة المزعومين بزيارتهم "ضربوا صفحا عن معاناة الشعب الفلسطيني من إبادة جماعية وعدوان غير مسبوق ومجازر ومذابح وقتل متواصل للأبرياء لأكثر من 20 شهرا."

وحركت زيارة الوفد الكثير من المياه الراكدة في المشهد الديني المنقسم عليه بين دول ومؤسسات إسلامية، وأعادت للأذهان محاولة تدبين الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين، وما يوجه من انتقادات لتل أبيب من اعتمادها على تصورات توراتية، وأشار التناغم بين المؤسسات الثلاث إلى وجود مسحة سياسية في خطابها الديني.

وأثارت زيارة وفد الأئمة جدلا دينيا وسياسيا واسعين، ما يؤكد أن أيّ محاولة لتطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول عربية ستواجه بتحديات كبيرة، وأن البيئة الإقليمية لن تتقبل بسهولة الاختراق الذي يريد تحقيقه الرئيس الأميركي دونالد ترامب في هذا المجال، ما لم يتمكن من إنهاء الحرب التي تشنها إسرائيل على غزة، وتثبيت وقف إطلاق النار لفترة طويلة، والبحث عن حل مناسب للقضية الفلسطينية.

وقال بيان صدر عن مكتب رئيس إسرائيل إسحاق هرتسوغ إنه استقبل يوم الاثنين "أئمة وقادة في الجالية المسلمة من فرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وبريطانيا."

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

قيس سعيد: الدولة ملزمة بضمان الحق في بيئة سليمة ومتوازنة

دعوات شعبية متصاعدة في تونس لمعالجة المشاكل البيئية المتفاقمة

تعالت الأصوات الشعبية والحقوقية المنادية بضرورة معالجة الوضع البيئي المتدهور في تونس، وسط إجماع على تعدد المشاكل البيئية في البلاد، وهو ما يحتم على السلطة الإسراع في وضع إستراتيجية واضحة تأخذ بعين الاعتبار مختلف تلك المشاكل والتغيرات المناخية الطارئة.

السلطة تلتفت إلى القطاع البيئي

تونس - تواجه تونس في السنوات الأخيرة، العديد من المشاكل البيئية، على غرار تلوث الهواء والماء، وتدهور الأراضي، والتصحر، وتلوث النفايات، وفقدان التنوع البيولوجي، وهي مشاكل يرى الخبراء أن لها آثارا سلبية على صحة الإنسان والاقتصاد والبيئة بشكل عام.

وتصاعدت الدعوات الشعبية المطالبة للحكومة بمعالجة المشاكل البيئية في البلاد.

ويقول مراقبون، إنه على الرغم من إنفاق أموال طائلة لإصلاح الوضع البيئي فإن النتائج المحققة لم تكن في مستوى الانتظارات، وهو ما يستدعي وضع ترسانة قانونية واضحة مع توفير الآليات اللازمة لمعالجة الأزمات البيئة.

وأكد الرئيس التونسي قيس سعيد خلال لقائه بوزير البيئة الحبيب عبيد، في قصر قرطاج، أن الحق في بيئة سليمة هو حق من حقوق الإنسان. كما أن الدولة ملزمة، بموجب الدستور، بضمان الحق في بيئة سليمة ومتوازنة، والمساهمة في مناخ سليم، مع توفير الوسائل الكفيلة بالقضاء على التلوث البيئي.

وأعطى الرئيس سعيد تعليمات باتخاذ إجراءات عاجلة، بالتنسيق مع جميع الجهات المعنية، لوقف التدهور البيئي الصارخ والمستمر، وحماية السواحل على امتداد التراب الوطني، في انتظار وضع إستراتيجية جديدة تهدف إلى القضاء نهائيًا على هدر المال العام وجميع أشكال ومصادر التلوث البيئي.

وأدى الرئيس التونسي، زيارة فُجئية إلى ولاية (محافظة) المنستير (شرق) حيث تحوّل إلى شاطئ مدينة قصيبة المديوني الذي شهد مؤخرا كارثة بيئية.

واستمع قيس سعيد بحسب ما نقلته إذاعة المنستير، إلى عدد من المواطنين الذين عبّروا عن استيائهم من التلوث الذي تشهده المدينة وخليج المنستير . كما زار الرئيس التونسي ولاية (محافظة) نابل، حيث توجه إلى مدينتي قليبية ومنزل تميم واطلع خلالها على الوضع البيئي المحلي، في خطوة تهدف إلى تعزيز مراقبة القضايا البيئية والتواصل المباشر مع سكان المنطقة، حسب ما أفاد به أحد نشطاء المجتمع المدني في المنطقة.

وعلى الرغم من أن عملية التصرف في النفايات في تونس تخضع إلى حزمة من القوانين باعتبار أن الحق في بيئة سليمة هو حق دستوري، فإن التعاطي المؤسساتي مع القضايا البيئية بشكل عام وملف النفايات بشكل خاص بقي منقوصا، نتيجة انعدام القدرة على وضع إستراتيجيات عملية تراعي حقوق الإنسان وخاصة حق المواطنين في بيئة سليمة.

ويؤكد الخبراء في المجال البيئي أنه تم اتّباع خيارات بيئية مغلوطة في السنوات الأخيرة، على غرار غياب تثمين النفايات وإعادة رسكلتها، إضافة إلى عدم اتّباع أنشطة هادفة إلى استخراج المواد القابلة لإعادة الاستعمال من أجل استخدامها كمصدر للطاقة، وأيضا غياب الحوافز للمؤسسات الصناعية وتشجيعها على الحد من إنتاج النفايات الضارة وصنع وتوزيع المنتجات التي تخلف أضرارا كبيرة على البيئة، وكذلك ضعف تطبيق الرقابة على المصبات البلدية من أجل وضع حد لعمليات الحرق العشوائي بها والذي يتسبب في انتشار عدة أمراض.

عادل الهناتي

التمويلات الكبيرة للبيئة لم تكن في المستوى المطلوب

وأفاد الخبير البيئي عادل الهناتي أن "هناك أماكن في الشواطئ التونسية فيها تلوث بيئي والوضع البيئي في تونس غير طبيعي منذ 20 سنة، وهو كارثي."

وأضاف في تصريح لـ"العرب" أن "هناك تمويلات كبيرة صرفت والنتيجة لم تكن في المستوى المطلوب، وهناك عدة أنواع من التلوث البيئي في تونس على غرار التلوث الصناعي بكل أنواعه في الهواء أو في الماء أو في البحار، وهناك أيضا مشكلة النفايات بجميع أنواعها منزلية وغير منزلية."

ولفت الهناتاي إلى أنه "ليس هناك تثمين للنفايات، مع عدم قدرة البلديات على القيام بواجباتها كما ينبغي قانونيا وعمليا، فضلا عن التلوث المتأتي من المواد الكيميائية إلى جانب مشاكل التصحّر."

ويوجد في تونس 13 مصبا غير مراقبا أغلقت منها 4 مصبات بكل من المنستير وجربة وعقارب وقرقنة من ولاية صفاقس (شرق) بسبب الاحتجاجات الاجتماعية.

وانتشرت ظاهرة الصيد العشوائي لعديد الأصناف الحيوانية المهددة بالانقراض في تونس، أو التي يخضع اصطيادها لمواسم محددة من السلطات المختصة.

ورغم تضافر جهود أغلب البلدان من أجل الحفاظ على التنوع البيولوجي في العالم، إلا أن ممارسة الصيد في غير المواسم القانونية يتواصل في محمية عرباطة بولاية قفصه. وتعتبر المحمية الطبيعية بعرباطة مأوى لغزال الدركاس ونعام شمال أفريقيا. وهما نوعان مهددان بالانقراض ليس فقط بتونس وإنما على امتداد المنطقة الصحراوية والساحلية من القارة.

ويشكل تحقيق عدالة مناخية تحديا حقيقيا أمام تونس خاصة وأنها من الدول الأكثر عرضة للتغيرات المناخية القصوى في منطقة شمال أفريقيا حسب المؤشر العالمي لمخاطر المناخ الصادرة سنة 2020.

وتعني العدالة المناخية أن تتحمل الدول الأكثر تلويثا للبيئة والمناخ تكاليف خفض انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري والملوثة للمياه، وتهدف إلى فرض سياسات تنموية صديقة للبيئة والقطع مع السياسات الحكومية السابقة التي لم تحقق النتائج المنتظرة وتوفير الإمكانيات المالية بشكل متوازن بين جميع المدن لمواجهة المخاطر البيئية.

موريتانيا تنفي عقد لقاء بين الغزواني ونتنياهو

نواكشوط - نفت الحكومة الموريتانية ما تناقلته وسائل إعلام عن عقد لقاء بين الرئيس محمد ولد الشيخ الغزواني ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في الولايات المتحدة.

وقال متحدث الحكومة الحسن ولد مدو إنه "لم ينعقد أيّ لقاء بين الغزواني ونتنياهو"، حسب ما نقلت وكالة الأنباء الموريتانية الرسمية.

ووصف ولد مدو ما تناقلته بعض وسائل الإعلام عن ذلك اللقاء المزعوم بأنه "كذب". وأضاف "ما أوردته قناة العربية حول أن الغزواني التقى نتنياهو في واشنطن، لا أساس له من الصحة."

وطالب القناة المذكورة بـ"تحري الدقة في استيقاء المعلومات والنأي عن تسويق الأخبار الزائفة والاعتماد على المصادر الرسمية،" حسب المصدر ذاته.

والأحد، بدأ نتنياهو، المطلوب للعدالة الدولية، زيارة إلى واشنطن استمرت 5 أيام، هي الثالثة خلال ستة أشهر، التقى خلالها الرئيس الأميركي دونالد ترامب في البيت الأبيض مرتين.

فيما بدأ الغزواني الأربعاء زيارة إلى واشنطن مدتها أربعة أيام، برفقة وزراء ومستشارين ورجال أعمال، وذلك لإجراء سلسلة لقاءات مع مسؤولين أميركيين وإبرام اتفاقات تجارية.

وخلال زيارة نتنياهو إلى الولايات المتحدة، تحدثت وسائل إعلام عن لقاءات بين مسؤولين إسرائيليين ونظرائهم من موريتانيا، بينها صحيفة "هآرتس" العبرية وقناة "العربية" وموقع "سيمافور" الأميركي. والجمعة، نقلت قناة العربية عن مصدرين لم تسمّهما، أن الرئيس الموريتاني "التقى نتنياهو خلال زيارته إلى واشنطن،" وهو ما نفاه متحدث الحكومة الموريتانية.

بدوره، أشار موقع "سيمافور"، الأربعاء، إلى أن الغزواني سيلتقي نتنياهو على هامش قمة تضم 4 دول أخرى في غرب أفريقيا هي: الغابون وغينيا بيساو وليبيريا والسنغال، وهو ما نفته سفيرة موريتانيا في واشنطن، سيسه بنت الشيخ ولد بيده.

كما نقل الموقع الأميركي عن مصدر قوله، إن موريتانيا "ستتخذ خطوة نحو استئناف العلاقات مع إسرائيل، في اجتماع بالبيت الأبيض بوساطة ترامب."

وفي سياق متصل، تحدثت صحيفة "هآرتس"، الجمعة، عن "تقارير مثيرة بشأن اجتماع هادئ على هامش القمة في واشنطن بين مسؤولين إسرائيليين ونظرائهم من موريتانيا، الدولة الإسلامية في شمال غرب أفريقيا التي اعترفت بإسرائيل قبل قطع العلاقات عام 2010."

إجراءات الحكومة الجزائرية: نذر أزمة أم ترشيد للواردات

الجزائر - أبرقت الحكومة الجزائرية، تعليمة جديدة للناشطين في مجال الاستيراد، تعلمهم فيها باتخاذ تدابير جديدة، عبر ما أسمته بـ"وثيقة الواردات المتوقعة" للسداسي الثاني من العام الجاري، التي يتم التصديق عليها من طرف المصالح الحكومية، كخطوة أساسية لمباشرة العملية، وهو ما اعتبر إيذانا بعودة التشدد في النشاط حفاظا على نزف احتياطي الصرف الأجنبي، وترشيد الواردات، بينما ذهب متشائمون إلى توقع أزمة في ظل مؤشرات عن تراجع مداخيل الخزينة العمومية.

وتفاجأ متعاملو قطاع الاستيراد في الجزائر، بخطوة وزارة التجارة وترقية الصادرات، القاضية ببسط المزيد من الرقابة والتحكم في النشاط، عبر إلزام هؤلاء بتقديم وثيقة التوقعات للسداسي الثاني من العام الجاري، قبل مباشرة أيّ عملية استيراد، الأمر الذي يفتح المجال أمام فرضية جولة جديدة من الحظر، رغم التفاؤل الذي أبدته جمعية مهنية للناشطين في مجال الاستيراد.

وأرسلت الوزارة المذكورة، تعليمة جديدة للبنوك التجارية، تطلب فيها من المستوردين تقديم وثيقة جديدة بعنوان "برنامج الاستيراد المتوقع للنصف الثاني من عام 2025،" وأرفقتها بتوضيحات للحصول عليها.

وذكرت التعليمة، أنه "لمواصلة الاستيراد هذا العام، يتعين على الشركات الجزائرية تقديم وثيقة بعنوان برنامج الاستيراد المتوقع للنصف الثاني من عام 2025، المعتمدة من وزارة التجارة وترقية الصادرات، وأن الإجراء دخل حيز التنفيذ بأثر رجعي اعتبارًا بداية من الفاتح من شهر يوليو الجاري."

وبهذه الخطوة، يكون نشاط الاستيراد قد دخل في مجال رقابة قبْلية، تعيد للأذهان سيناريو قرار الحظر الذي اتخذته الحكومة خلال الأعوام الماضية، تجاه المئات من المواد والبضائع، بدعوى ترشيد النشاط ومحاربة الفساد والحفاظ على مقدرات البلاد من رصيد النقد الأجنبي، إلا أن انتقادات شديدة طالت الحكومة بسبب تفشي ظاهرة الندرة وغلاء الأسعار وتعطيل المجال الاقتصادي، على اعتبار أن الحظر مس أيضا مواد أولية تدخل في صلب بعض المنتوجات المحلية.

ورغم العودة المحتملة لمبررات الحكومة، تحسبا لمصاعب مالية محتملة، بسبب تراجع مداخيل الخزينة العمومية نتيجة انخفاض أسعار النفط والغاز، وتعثر خطة النهوض بالصادرات خارج المحروقات، فإن نذر الأزمة تلوح في الأفق، خاصة أمام تراجع سقف احتياطي الصرف، وارتفاع تكلفة الإنفاق الحكومي، والعجز المسجل في الموازنة العامة.

لكن نادي "رواد الأعمال والصناعيين"، سعى لطمأنة متعاملي الاستيراد، وكتب على صفحته الرسمية في فيسبوك "هذا ليس عرقلة للواردات،" وأكد على أنه "لا داعي للقلق. هذا ليس تقييدا جديدا، ولا عرقلة لعمليات الاستيراد."

ويرى متابعون للملف، أن ردود المصالح الحكومية على وثائق التوقعات التي ستقدم لها، هي التي ستنفي أو تؤكد نوايا الحكومة من وراء هذه الخطوة، إذا كانت بغرض الترشيد والعقلنة، أم من أجل فرض قيود جديدة، بعيدا عن مقاربة الحظر المنتهج في السنوات الأخيرة، والذي أثار استياء المستهلكين والناشطين معا.

ولفتت المنظمة المهنية، إلى أن "ما هو مطلوب لتوطين البنوك (التوطين المسبق، التوطين، فتح خطاب اعتماد) هو فقط تقديم وثيقة بعنوان برنامج الاستيراد المتوقع للنصف الثاني من عام 2025، معتمدة من وزارة التجارة. وبعبارة أخرى، لا يلزم سوى إقرار استلام هذا البرنامج المتوقع."

> خبراء اقتصاديون يرجحون فرضية السعي إلى التحكم أكثر في الإنفاق بالعملة الأجنبية والحد من نزيف رؤوس الأموال

وربط مختصون في الشأن الاقتصادي والمالي الجزائري، الخطوة الجديدة بالمخاوف التي تعتري الحكومة الجزائرية، جراء تقلص احتياطي الصرف الذي فاق سقف الـ70 مليار دولار العام 2023، لكن استقرار حجم الواردات بعد التخلي التدريجي عن إجراءات الحظر عند مبلغ 40 مليار دولار، يضع الموازين المالية والاقتصادية للبلاد في موقع حرج، ولذلك جاءت التعليمة الحكومية كإجراء استباقي للتخفيف من حجم الأعباء المنتظرة.

ويرى هؤلاء أن سلسلة التراجعات تعود إلى عدة عوامل، أبرزها انخفاض أسعار النفط في الأسواق العالمية، ما قلّص من مداخيل البلاد المعتمدة أساسا على صادرات المحروقات، فضلا عن الرسوم الجمركية الأميركية المفروضة من قبل الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب على الجزائر والتي قدرت بـ30 في المئة، ما قلص من تنافسية الصادرات وأدى إلى انخفاض تدفق العملة الصعبة.

ويرجح خبراء اقتصاديون فرضية السعي إلى التحكم أكثر في الإنفاق بالعملة الأجنبية والحد من نزيف رؤوس الأموال، وأن فرض برنامج استيراد توقعي مصادق عليه يهدف إلى توجيه الواردات نحو الاحتياجات الأساسية فقط، في إطار تخطيط أفضل للتدفقات التجارية والمالية.

ويأمل صانعو القرار الاقتصادي أن تسهم هذه السياسة في استقرار الاقتصاد الوطني وتحقيق استخدام أكثر رشادة للموارد المالية، في ظل تحديات دولية متصاعدة، وينتظر هؤلاء إرادة من طرف الشركات الناشطة في التأقلم مع المتطلبات الجديدة، من خلال حسن التقدير المسبق لاحتياجاتها واحترام الإجراءات الإدارية المعتمدة.

وكان الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون قد عمد في آخر تشكيل حكومي عيّنه بعد انتخابه لولاية رئاسية ثانية في السابع من سبتمبر الماضي، إلى تقسيم وزارة التجارة إلى قسمين: الأول يضطلع بالتجارة الخارجية وترقية الصادرات، والثاني بالتجارة الداخلية وتنظيم الأسواق ومحاربة المظاهر السلبية، الأمر الذي يترجم اهتمام الرجل بالقطاع، لكن الاختلالات لا زالت تلاحق القطاع، خاصة في ما يتعلق بالاحتكار الحكومي والبيروقراطية وشل النشاط التجاري والمضاربة وغيرها.

دعوات لاتخاذ تدابير جديدة

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

الحكومة المصرية تنتقل من رفض تجميد الإعدام إلى مناقشته

القاهرة تعتمد على التفاوض المرن في القضايا الحقوقية المثيرة للجدل

تجميد الإعدام خطوة مهمة في النظام العقابي

الحكومة المصرية كانت تغلق الباب أمام النقاش حول إلغاء تطبيق عقوبة الإعدام، لكنها عدلت موقفها، واستحدثت في ردودها على التوصيات عبارة "منفذة بالفعل" بشأن 43 توصية بينها قصر استخدام عقوبة الإعدام على الجرائم الأشد خطورة، وهو مؤشر على الاستجابة المتدرجة.

أحمد جمال

القاهرة - أبدت الحكومة المصرية موقفا أكثر انفتاحا على مناقشة تجميد عقوبة الإعدام بعد أن رفضت طويلا توصيات مجلس حقوق الإنسان الدولي، في خطوة تفتح الباب أمام تدشين حوارات مجتمعية وحقوقية حول إلغاء العقوبة أو تضييق نطاق تنفيذها بعد أن اتجهت لإدخال تعديل تشريعي مؤخرا قضى بتخفيف عقوبة الإعدام، حال التصالح بين ورثة المقتول، وهي خطوة جاءت بموافقة دينية من الأزهر.

وقال عضو المجلس المصري لحقوق الإنسان (حكومي) علاء شلبي إن مصر قبلت لأول مرة التوصية المتعلقة بالنظر في تجميد تنفيذ عقوبة الإعدام، وتنفيذها سيكون مرهونا بالظروف السياسية والأمنية والثقافية والاجتماعية.

وقبلت الحكومة المصرية 343 توصية مجمعة ضمن المراجعة الدورية الشاملة لمجلس حقوق الإنسان العالمي في يناير الماضي، وخلال جلسة عقدت لتقديم التقرير الحكومي على التوصيات قبل أيام قبلت مصر بشكل كلي 264 توصية، بنسبة 77 في المئة، وأيدت جزئيا 16 توصية، بنسبة 5 في المئة، بينها النظر في تخفيف عقوبة الإعدام، ورفضت 62 توصية، بنسبة 18 في المئة.

وعبّر المجلس القومي لحقوق الإنسان عن دعمه لمراجعة العمل بعقوبة الإعدام، على أن تُطبق فقط في الجرائم الأشد خطورة، مع احترام معايير المحاكمة العادلة، داعيا إلى مراجعة جادة لقانون الإجراءات الجنائية، بهدف تبني نهج أكثر شمولاً في التعامل مع ادعاءات التعذيب، بما يعزز من ثقافة عدم الإفلات من العقاب.

ويشير الموقف الحكومي من عقوبة الإعدام إلى رغبة مصرية في التأكيد على تحسين سجلها الحقوقي، خاصة وأنها تسلط الضوء على أكثر القضايا إثارة للجدل، ودائما ما تأتي على رأس توصيات المجلس العالمي لحقوق الإنسان، إلى جانب منح حقوق المثليين، وفي مرات عدة كان الجدل حول هاتين التوصيتين يغطي على الحديث عن قضايا سياسية وقوانين وإجراءات أمنية، والانفتاح على النقاش حول العقوبة يبدو ضروريا.

ورغم أن خطوات القاهرة لم تلق ترحيبا من منظمات حقوقية وجهت انتقادات للقاهرة بشأن ردودها على توصيات المراجعة الدورية الشاملة، فإن الأمر يحظى بترحيب حقوقي من منظمات مصرية، ترى أن القاهرة اتخذت بعض الخطوات التي تدعم عدم التوسع في تطبيق عقوبة الإعدام وقصرها على أشد الجرائم، ويتماشى ذلك مع رؤية دينية تصل إلى نفس الطريق بلا تجميد تنفيذ العقوبة بشكل كامل.

وحسب المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، فإن الحكومة استحدثت هذه المرة في ردودها على التوصيات عبارة "منفذة بالفعل" بشأن 43 توصية بينها قصر استخدام عقوبة الإعدام على الجرائم الأشد خطورة، فضلا عن توصيات أخرى، أبرزها: إصدار قانون شامل للعنف ضد النساء، وقانون يجرّم العنف المنزلي بما فيه الاغتصاب الزوجي، وتجريم كل أشكال العقاب البدني للأطفال، ونشر برنامج تنفيذي للإستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان، وضمان تمتع المجلس القومي لحقوق الإنسان بالاستقلالية ومنحه السلطة للتفتيش على أماكن الاحتجاز.

أيمن نصري

الحكومة عدلت موقفها بفتح نقاشات حول تجميد الإعدام

وقال رئيس المنتدى العربي-الأوروبي للحوار وحقوق الإنسان أيمن نصري إن الحكومة المصرية كانت تغلق الباب أمام النقاش حول إلغاء تطبيق عقوبة الإعدام، لكنها عدّلت موقفها هذه المرة باستجابتها لفتح نقاشات حول تجميد تنفيذها دون أن تعلن قبولها صراحة للتوصية، أو ترفضها، ما يعبر عن وجود مرونة في التفاوض مع إمكانية تنظيم ورش عمل ومؤتمرات تتطرق إلى الأمر الفترة المقبلة.

وأوضح لـ"العرب" أن الحكومة المصرية ليست مضطرة للقبول بالتوصية، لأنه لم يتم توقيع عقوبات عليها، حال استمرت على النهج الحالي، ولن تخالف أيّا من المواثيق الدولية الموقعة عليها، ويعبر الموقف الراهن عن أسلوب جديد تنتهجه الحكومة بشأن التفاوض المرن في القضايا التي تلقى فيها انتقادات حقوقية، على أن تتضمن تقديم رؤيتها لأسباب تجعلها ماضية في تطبيق العقوبة في بعض الحالات التي ترتبط بجرائم الإرهاب والاغتصاب وكل ما يهدد الأمن القومي.

ومن المتوقع أن تعلن الحكومة المصرية عن موقفها برفض تنفيذ التوصية بعد مراجعة فرص تجميد العقوبة مع منظمات مجتمع مدني ومسؤولين من جهات مختلفة قانونية ودينية، والتأكيد على أن ذلك إخلال بالأمن القومي، ومصر لديها أسانيد تثبت أن تجميد توقيع العقوبة لدى بعض الدول الغربية لا يتماشى مع الوضع الداخلي.

وأكد نصري لـ"العرب" أن مصر أثبتت امتلاكها سياسة جديدة تقوم على التفاوض بشأن التوصيات الحقوقية التي يمكن أن تقبلها، وترتبط بالحقوق الاجتماعية والثقافية وتحسين أوضاع عمل منظمات المجتمع المدني، لكن ما يتعلق بالجوانب الأمنية المباشرة لن تغير موقفها منه، وتقدم دوافعها لرفض الاستجابة لتوصياتها.

وشهدت جلسة المراجعة الدورية الشاملة توجيه ما لا يقل عن 29 توصية دولية إلى مصر تطالب بتقليص عدد الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام، وتعليق تنفيذ هذه العقوبة تمهيدًا لإلغائها والانضمام إلى البروتوكول الاختياري الثاني الملحق بالعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

وطبقاً لتقرير منظمة العفو الدولية عن أحكام وعمليات الإعدام في 2023، جاءت مصر في المرتبة الثامنة ضمن قائمة تضم 16 بلداً استخدمت حكم الإعدام.

ورصدت منظمات حقوقية صدور 380 حكمًا عام 2024، مقابل 348 حكمًا في عام 2023، وتنفيذ الإعدام بحق 13 شخصًا عام 2024، مقارنة بـ8 حالات إعدام عام 2023، وتشير الأرقام إلى اتجاه تصاعدي في استخدام العقوبة، قبل إقرار التعديلات القانونية الأخيرة التي تمنح الحق لولي الدم في التصالح بشأن جرائم القتل.

وتجعل حالة التأهب الأمني التي تظهر عبر مخاوف حكومية من ارتداد التنظيمات الإرهابية، التعامل مع ملف تخفيف عقوبة الإعدام يأخذ مزيدا من الاعتراضات الأمنية، وتقابلها ضغوطات حقوقية ترى أن الاستجابة لمطالب تخفيف العقوبة أو تجميدها في الجزء الأكبر من الجرائم يؤدي إلى تحسين السجل الحقوقي المصري.

وقد يلعب المجلس القومي لحقوق الإنسان دورا بارزا في الضغط على الحكومة نحو هذا الاتجاه، وجرى خفض تصنيفه ويعمل حاليا على إعادة تصويب مساره ما يجعله أكثر جرأة في توجيه انتقادات لملفات حقوقية، وسيخضع لتقييم أداء قريبا، وفي حاجة إلى رفع التصنيف لمواجهة حملات تشنها منظمات نجحت في خفض تصنيفه.

المبعوث الأميركي: نزع الأسلحة الثقيلة لحزب الله مهمة الجيش

بيروت - شدد سفير واشنطن لدى أنقرة، المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا توماس باراك، على ضرورة أن يتم أي مسار لنزع سلاح حزب الله بإدارة الحكومة اللبنانية وبموافقته الكاملة.

وفي مقابلة مع صحيفة "عرب نيوز"، نشرت السبت، أوضح باراك، أنهم "بدأوا العمل كوسطاء عبر تشكيل فريق تفاوض".

وأشار إلى أن "الأمور تتقدم بسرعة،" وأن جوهر الاتفاق لن يكون حول (نزع) الأسلحة الفردية المنتشرة في لبنان، بل حول (نزع) الأسلحة الثقيلة التي قد تشكل تهديدا لإسرائيل.

وكشف باراك، أن الولايات المتحدة سهلت محادثات سرية بين لبنان وإسرائيل، رغم وجود حظر قانوني يمنع التواصل المباشر بين البلدين.

وأشار إلى أن عملية نزع السلاح ستتطلب تدخل الجيش اللبناني، مؤكدا ضرورة "تعزيز قدرات الجيش". وأضاف المبعوث الأميركي قائلا "بإمكان الجيش أن يتحاور بلين مع حزب الله، وأن يقول للحزب هذه آلية تسليم السلاح. نحن لا نريد حربا أهلية". وأوضح أن "حزب الله" يتكون من جناحين، أحدهما عسكري مدعوم من إيران، والآخر سياسي يعمل ضمن النظام البرلماني اللبناني.

> **توماس باراك: جوهر الاتفاق لن يكون حول نزع الأسلحة الفردية المنتشرة في لبنان، بل نزع الأسلحة الثقيلة المهددة لإسرائيل**

وأكّد باراك أن "أيّ مسار لنزع سلاح الحزب يجب أن ينطلق من الحكومة اللبنانية وبموافقة حزب الله، الكاملة".

وبيّن أن هذه العملية "يجب أن تبدأ من مجلس الوزراء، على أن تصدر عنه التفويضات، ويوافق حزب الله، كحزب سياسي، على هذا المسار". ولفت باراك إلى أن "واشنطن، رغم تصنيفها العلني لحزب الله كمنظمة إرهابية، تدرك أن جناحه السياسي يحظى بمقاعد في البرلمان، ويمثل شريحة واسعة من الطائفة الشيعية في لبنان إلى جانب حركة أمل".

يشار إلى أن باراك، قدّم في 19 يونيو الماضي، اقتراحا أميركيا إلى الحكومة اللبنانية ينص على أن تكون جميع الأسلحة في البلاد تحت إشراف الدولة اللبنانية فقط كهدف أوّلي.

وفي مقابلة له مع قناة "العربية" في يونيو الماضي، قال باراك إن "الجناح العسكري لحزب الله، يجب أن يُحل بالكامل. لا نقصد الجناح السياسي، بل الهيكل العسكري الذي لا يمكن قبوله،" مشيرا إلى ضرورة وضع جدول زمني لنزع السلاح. جدير بالذكر أن الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم صرّح في 6 يوليو الجاري، خلال مراسم عاشوراء، أن الحزب لن يستجيب لدعوات تسليم سلاحه ما لم تتوقف اعتداءات إسرائيل على لبنان.

إيران تتراجع عن القطيعة مع وكالة الطاقة الذرية

طهران - أعلنت إيران السبت استعدادها للتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وفق "شكل جديد،" متراجعة عن تهديدات سابقة بالتوقف عن التعامل مع الوكالة .

وقال وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي أمام دبلوماسيين أجانب في طهران، "لم يتوقف تعاوننا مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، لكنه سيتخذ شكلا جديدا".

وتأتي تصريحات عراقجي بعد ضربات إسرائيلية وأميركية على منشآت نووية إيرانية خلال الحرب التي اندلعت في أعقاب هجوم إسرائيلي غير مسبوق على الجمهورية الإسلامية، واستمرّت من 12 إلى 24 يونيو.

وتحمّل إيران الوكالة الدولية للطاقة الذرية مسؤولية جزئية عن الضربات التي تعرضت لها منشآتها النووية، وعلقت رسميا كل أشكال التعاون مع الوكالة مطلع يوليو بعد إقرار البرلمان قانونا بهذا الشأن.

وأكد عراقجي أنّه "بموجب هذا القانون، فإنّ كلّ تعاوننا مع الوكالة ستتم إدارته الآن من قبل المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني".

وأشار إلى أنّ إيران "تظل مستعدّة لبناء هذه الثقة من خلال الدبلوماسية، ولكن قبل ذلك، يتعيّن على نظرائنا إقناعنا بأنّهم يريدون الدبلوماسية، وليس أن تُستخدم لإخفاء أهداف أخرى".

وانتقدت واشنطن القرار الإيراني وقف التعاون مع الوكالة الذرية ووصفته بأنه "غير مقبول".

وكانت إسرائيل أعلنت أنّها شنّت هجومها على إيران بهدف منعها من حيازة السلاح النووي، وهو مسعى تنفيه طهران التي تؤكد حقها في الحصول على الطاقة النووية المدنية.

من جانب آخر، أدت الحرب بين الجمهورية الإسلامية والدولة العبرية إلى وقف المفاوضات بين طهران وواشنطن التي بدأت في أبريل بهدف التوصل إلى اتفاق حول البرنامج النووي الإيراني، ورفع العقوبات الاقتصادية عن إيران.

والسبت، قال عراقجي إنّ بلاده تدرس تفاصيل تمهيدا لاحتمال استئناف المفاوضات مع الولايات المتحدة، مؤكدا في الوقت ذاته أنّه في حال حصول ذلك فإنّ "القدرات العسكرية" البالستية خصوصا، لن تكون مدرجة ضمن المحادثات.

وأكد أنّ "الجمهورية الإسلامية في إيران ستحافظ على قدراتها، خصوصا العسكرية، في جميع الظروف،" مضيفا أنّ "هذه القدرات لن تكون موضع أي تفاوض".

ويُنظر إلى الصواريخ الإيرانية القادرة على الوصول إلى الأراضي الإسرائيلية، على أنّها مصدر تهديد لأمن إسرائيل، العدوّ اللدود لإيران والحليف الوثيق للولايات المتحدة.

وإضافة إلى المواقع النووية، نفذت إسرائيل خلال الحرب ضربات على مواقع عسكرية إيرانية. وردّت إيران بإطلاق صواريخ وبهجمات بمسيّرات على الدولة العبرية.

وفي 22 يونيو، قصفت الولايات المتحدة موقع تخصيب اليورانيوم تحت الأرض في فوردو جنوب طهران، ومنشأتين نوويتين في أصفهان ونطنز (وسط). ولم يُعرف بعد الحجم الفعلي للأضرار التي ألحقها القصف بهذه المواقع.

وفيما غادر فريق المفتشين التابع للوكالة الدولية للطاقة الذرية إيران، أكد المدير العام للوكالة رفائيل غروسي "الأهمية الحاسمة" لمناقشة إيران بشأن سبل استئناف "أنشطة المراقبة والتحقّق الأساسية في أقرب وقت ممكن".

والمفاوضات بين واشنطن وطهران متعثرة عند مسألة تخصيب اليورانيوم. ففي حين تصر طهران على أن من حقّها التخصيب، تعتبر إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب هذا الأمر "خطا أحمر".

> **إيران تحمّل الوكالة مسؤولية عن الضربات التي تعرضت لها منشآتها النووية، وعلقت رسميا كل أشكال التعاون معها**

وفي هذا الإطار، جدد وزير الخارجية الإيراني السبت تأكيد حق طهران في تخصيب اليورانيوم في أيّ اتفاق محتمل لتأطير برنامجها النووي. وقال "لن نقبل بأيّ اتفاق لا يتضمن (الحق في) تخصيب اليورانيوم".

ووفق الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، فإنّ إيران هي القوة غير النووية الوحيدة التي تقوم بتخصيب اليورانيوم بنسبة 60 في المئة، علما بأن سقف مستوى التخصيب كان محددا عند 3.67 في المئة في اتفاق العام 2015.

ويتطلب صنع رأس نووي تخصيب اليورانيوم بنسبة 90 في المئة.

امتصاص التوتر مع الوكالة

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

أردوغان يمد يده للأكراد ويضيّق الخناق على المعارضة

الرئيس التركي يلجأ إلى الدعم الكردي لتطويق شعبية المعارضة

تسليم السلاح.. خطوة صادمة للمقاتلين والمعارضة

التقارب مع الأكراد وحل قضية سلاح حزب العمال المحظور عن طريق الحوار يشيران إلى مناورة جديدة من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، هكذا تلجأ المعارضة التي تعتبر أن الهدف إحداث شرخ كبير داخلها بين الشق التركي العلماني والشق الكردي، اللذين كان يمثلان وزنا كبيرا كان له تأثيره الكبير في الانتخابات الرئاسية الماضية.

إسطنبول - سعى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لطمأنه بلاده بشأن عملية السلام الجارية مع حزب العمال الكردستاني، لكن هذا التطور لا يزال موضع تساؤلات ولاسيما في ظل القمع الذي يستهدف المعارضة والأصوات المخالفة، واستمرار توقيف رؤساء بلديات يتبعون الأكراد وتهمتهم التعامل مع حزب العمال المحظور.

لكن معارضين يذهبون إلى اعتبار أن أردوغان، الذي انحسرت شعبيته وشعبية حزبه، يريد أن يكسب شعبية وسط الأكراد ليدعموا فكرة إعادة ترشيحه للانتخابات وفي نفس الوقت يحدث شرخا في تحالف الأكراد مع المعارضة، وهو التحالف الذي أزعجه في الانتخابات الماضية.

وقال أردوغان السبت أمام أعضاء حزبه العدالة والتنمية (الإسلامي المحافظ) "تركيا انتصرت و86 مليون تركي انتصروا".

وأكد غداة مراسم رمزية في شمال العراق شهدت حرق نحو ثلاثين مقاتلا من حزب العمال الكردستاني أسلحتهم مدشنين عملية إلقاء السلاح "نعرف تماما ما نقوم به، ولا داعي للقلق أو الخوف أو التساؤل".

ويقاتل حزب العمال الكردستاني أنقرة منذ العام 1984.

وتُثير عملية السلام أملا وانعدام ثقة في آن واحد، وبدأها في أكتوبر الماضي حزب الحركة القومية الحليف للحكومة مع حزب المساواة وديمقراطية الشعوب المؤيد للأكراد وهو ثالث أكبر فصيل سياسي في تركيا.

وقال حزب المساواة وديمقراطية الشعوب الذي تولى وساطة بين أنقرة ومؤسس حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان، البالغ 76 عاما، والمسجون في جزيرة قبالة سواحل إسطنبول إن "قرار حزب العمال الكردستاني بالتخلي عن السلاح يضمن أن كل مشاكل تركيا ستحل من خلال الوسائل الديمقراطية، وليس القضية الكردية فحسب".

من جهة أخرى، وفي انعكاس لحالة العديد من الأتراك الذين لم ينسَوا أن الصراع خلف 50 ألف قتيل، ندد زعيم حزب "النصر" القومي أوميت أوزداغ، باتفاق مع "قاتل أطفال"، كما يسمّي أوجلان.

وكتب على منصة إكس بعدما أمضى ستة أشهر في السجن بتهمة "إهانة الرئيس" قائلا "نواجه عملية خيانة جديدة: قاتل أطفال يُدعى إلى البرلمان بينما يستهدف قانونٌ معادٍ المعارضة".

وقال أردوغان من جهته السبت "لا أحد يملك الحق في التشكيك في وطنيتي أو قوميّتي أو في حب حزب العدالة والتنمية لتركيا".

> اقرار حزب العمال الكردستاني بالتخلي عن السلاح هل يضمن أن كل مشاكل تركيا ستحل من خلال ديمقراطيا

وقال بيرك إيسن أستاذ العلوم السياسية في جامعة سابانجي في إسطنبول "منذ بداية العملية، أصبحت تركيا دولة أكثر استبدادا بكثير".

وأضاف لوكالة فرانس برس أن "نزع سلاح منظمة إرهابية من شأنه أن يؤدي، أو قد يؤدي، إلى إرساء الديمقراطية والسلام الاجتماعي، لكن.. على الأرجح لن يكون الحال كذلك".

واشار إيسن إلى اعتقالات عديدة طالت رؤساء بلديات ومسؤولين في حزب الشعب الجمهوري، أبرز قوة معارضة، بينهم رئيس بلدية إسطنبول أكرم إمام أوغلو المنافس السياسي الرئيسي أردوغان في مارس، والذي ما زال موقوفا.

ومنذ ذلك الحين، أوقف وسجن المئات من العاملين في بلديات يسيطر عليها حزب الشعب الجمهوري لاسيما مؤخرا في أنطاليا وأضنة وأديامان (جنوب)، بالإضافة إلى المجلس البلدي السابق في إزمير. وتتم كل هذه التوقيفات بتهمة "الفساد" التي ينفيها المتهمون.

في الوقت نفسه، طالت حملة القمع العديد من وسائل الإعلام المعارضة، منها قناة "سوزجو" التي أُمر بإغلاقها بعد ست عشرة غرامة وإيقافها عن البث منذ يناير بمعدل "مرة كل أسبوعين،" بحسب ما أشار مديرها أوزغور كاكماجي مساء الثلاثاء تزامنا مع إغلاقها.

وندد كاكماجي "باستبداد الحكومة المتزايد الذي يُقلّص ويضيق المساحات الإعلامية أكثر فأكثر".

وقالت المذيعة سينم تولواي إيلغاز "لا يُسمح بأي صوت معارض. يجب سماع صوت واحد فقط، الصوت الذي ترغب فيه الحكومة".

ومُنحت قناة "هالك تي في" التلفزيونية التابعة لحزب الشعب الجمهوري، مهلة سبعة أيام، وكانت مُهددة بالمصير نفسه.

وقال ممثل منظمة مراسلون بلا حدود في تركيا إيرول أوندر أوغلو "لا شك في نية تصفية قنوات المعارضة كجزء من الأجندة الاستبدادية".

وأورد إيسن أن حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية، مستهدف من الحكومة لأنه فاز في غالبية المدن في مارس 2024، ويتصدر كل استطلاعات الرأي، متهما أردوغان بـ"تفتيت المعارضة".

ورأى أن حزب المساواة وديمقراطية الشعوب التركي المؤيد للأكراد شريك للحكومة في العملية التي بدأت مع حزب العمال الكردستاني، وخصوصا أنه امتنع عن إدانة الاعتقالات وانتهاكات حقوق المعارضة.

كذلك، لم ينضم الحزب الذي حُكم على رئيسيه السابقين – صلاح الدين دميرتاش وفيغين يوكسكداغ بالسجن لمدة 42 و30 عاما، إلى الاحتجاجات التي أثارها اعتقال إمام أوغلو.

وقال بيرك إيسن "منذ البداية، رأيت أن هذه المفاوضات مع أوجلان بمثابة مبادرة لتعزيز الحكومة.. وكسب دعم الناخبين الأكراد" لأردوغان.

ويشير هذا إلى أن أردوغان يعزز التقارب بين الدولة والحزب المؤيد للأكراد، ما قد يجعل حزب المساواة والديمقراطية معارضة مدعومة من الدولة لخدمة مصالحه الإستراتيجية. وتهدف هذه المناورة إلى خلق انقسامات بين حزب الشعب الجمهوري وحزب المساواة والديمقراطية، ما يزيد من إضعاف المعارضة الأوسع ضده.

أكراد تركيا يرون السلام بعيد المنال رغم تطمينات أنقرة

هكاري (تركيا) - يخيّم الشك والقلق في مدينة هكاري في جنوب شرق تركيا ذي الغالبية الكردية مع بدء حزب العمال الكردستاني نزع سلاحه، واعتبر سكان طالبين عدم الكشف عن هوياتهم أن "الحرب لم تنتهِ بعد".

ولم تُقنع مراسم نظمت الجمعة في شمال شرق العراق المجاور، على الجانب الآخر من الحدود، وتمثلت بحرق ثلاثين مقاتلا من حزب العمال الكردستاني أسلحتهم أعضاء في حزب العدالة والتنمية الحاكم بأن "الحرب انتهت".

وقال أردوغان السبت أمام أعضاء حزبه العدالة والتنمية (الإسلامي المحافظ) "تركيا انتصرت و86 مليون تركي انتصروا".

وأكد غداة مراسم رمزية في شمال العراق شهدت حرق نحو ثلاثين مقاتلا من حزب العمال الكردستاني أسلحتهم مدشنين عملية إلقاء السلاح "نعرف تماما ما نقوم به، ولا داعي للقلق أو الخوف أو التساؤل".

ويقاتل حزب العمال الكردستاني أنقرة منذ العام 1984.

وتُثير عملية السلام أملا وانعدام ثقة في آن واحد، وبدأها في أكتوبر الماضي حزب الحركة القومية الحليف للحكومة مع حزب المساواة وديمقراطية الشعوب المؤيد للأكراد وهو ثالث أكبر فصيل سياسي في تركيا.

وقال حزب المساواة وديمقراطية الشعوب الذي تولى وساطة بين أنقرة ومؤسس حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان، البالغ 76 عاما، والمسجون في جزيرة قبالة سواحل إسطنبول إن "قرار حزب العمال الكردستاني بالتخلي عن السلاح يضمن أن كل مشاكل تركيا ستحل من خلال الوسائل الديمقراطية، وليس القضية الكردية فحسب".

من جهة أخرى، وفي انعكاس لحالة العديد من الأتراك الذين لم ينسَوا أن الصراع خلف 50 ألف قتيل، ندد زعيم حزب "النصر" القومي أوميت أوزداغ، باتفاق مع "قاتل أطفال"، كما يسمّي أوجلان.

وكتب على منصة إكس بعدما أمضى ستة أشهر في السجن بتهمة "إهانة الرئيس" قائلا "نواجه عملية خيانة جديدة: قاتل أطفال يُدعى إلى البرلمان بينما يستهدف قانونٌ معادٍ المعارضة".

وقال أردوغان من جهته السبت "لا أحد يملك الحق في التشكيك في وطنيتي أو قوميّتي أو في حب حزب العدالة والتنمية لتركيا".

> اقرار حزب العمال الكردستاني بالتخلي عن السلاح هل يضمن أن كل مشاكل تركيا ستحل من خلال ديمقراطيا

وقال بيرك إيسن أستاذ العلوم السياسية في جامعة سابانجي في إسطنبول "منذ بداية العملية، أصبحت تركيا دولة أكثر استبدادا بكثير".

وأضاف لوكالة فرانس برس أن "نزع سلاح منظمة إرهابية من شأنه أن يؤدي، أو قد يؤدي، إلى إرساء الديمقراطية والسلام الاجتماعي، لكن.. على الأرجح لن يكون الحال كذلك".

رواد المقاهي أن يتم تصويره قائلا "لا نتحدث لأننا لا نعلم ماذا سيحدث غدا".

وقال طالبا عدم الكشف عن هويته "يمكن أن نتحدث عن أمر الآن ونُعاقب عليه غدا. لا يزال انعدام الثقة قائما،" مشيرا إلى فشل محاولات سابقة لإرساء السلام. وحاول رجب طيب أردوغان طمأنة الأتراك السبت مؤكدا أن "تركيا انتصرت" واعدا "الإخوان الأكراد بحل المشاكل عبر الحوار".

كما أعلن أن لجنة برلمانية ستدرس "وتناقش المتطلبات القانونية للعملية،" بناء على طلب قيادة حزب العمال الكردستاني.

ووقف محمد دومان على رصيف أمام مطعم يعمل فيه، رافعا حاجبيه، وأكد أنه ما زال في السادسة والعشرين لكنه شهد ما يكفي ليشكك في الأمر.

وقال الشاب "فرقونا، وعزلونا، وضربونا، لمجرد أننا أكراد. شهدنا كل أنواع الاضطهاد والقمع."

وأضاف "لذا، من الآن فصاعدا، إذا أرادت (الدولة) مستقبلا لتركيا، إذا أرادت أن تكون تركيا بيئة جيدة للجميع، وأن يعود الجميع ويتمكنوا من العيش بحرية، فعليها أن توقف كل هذا".

واعتبر أن "على الدولة أيضا أن تتخذ خطوة" بعد عملية تدمير الأسلحة الرمزية التي نفذها حزب العمال الكردستاني في العراق.

وقال "طوال هذه السنوات، من كلا الجانبين، ومن أجل جميع شبابنا، سُفكت دماء هباءً. لم نعد نريد هذا".

ورأى أن "مَن ألقوا السلاح اليوم كان بإمكانهم أن يفعلوا ذلك في وقت سابق،" موجها اتهاماته أيضا لحزب العمال الكردستاني. وتابع دومان "يُسمونها عملية سلام. لكن من جهة، يَعقدون سلاما مع الأكراد، ومن جهة أخرى، يعتقلون جميع أعضاء حزب الشعب الجمهوري".

وهذا الحزب علماني ديمقراطي اجتماعي أسسه مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية، ويُعدّ أبرز قوة معارضة لأردوغان. ونفذت الحكومة المئات من عمليات التوقيف لأعضاء في صفوفه بينهم رئيس بلدية إسطنبول أكرم إمام أوغلو. وقال الشاب "لا يُمكن أن يكون هناك سلام كهذا،" مؤكدا أن "من لا يريدون السلام هم من لا يُحبون وطنهم".

وأضاف "اليوم نلتزم الصمت، ونأمل في الأفضل، وأمل أن يحدث. لكنني لا أُصدّق ذلك".

تمسك إسرائيل ببقاء الجيش في قطاع غزة يعرقل محادثات الدوحة

غزة - تصطدم مفاوضات وقف إطلاق النار في غزة بمسألة انسحاب الجيش الإسرائيلي من القطاع المدمر بفعل 21 شهرا من الحرب، في وقت تقول فيه حماس إن إسرائيل تريد أن تقطّع القطاع إلى أجزاء لتتحكم فيه وخلق منطقة إنسانية تتحكم فيها تل أبيب في عملية توزيع المساعدات.

وفيما بدأت الأحد الماضي في الدوحة جولة جديدة من المفاوضات غير المباشرة بين إسرائيل وحركة حماس بوساطة قطرية وأميركية ومصرية سعيا للتوصل إلى هدنة في الحرب، واصل الجيش الإسرائيلي هجومه في قطاع غزة حيث قتل أكثر من عشرين فلسطينيا في ضربات جديدة بحسب الدفاع المدني.

وأكد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في الأيام الأخيرة على أهداف الحرب، وهي إطلاق سراح الرهائن المحتجزين في غزة منذ هجوم حماس والقضاء على الحركة وإخراجها من غزة.

وقال مصدر فلسطيني لفرانس برس إن مفاوضات الدوحة "تواجه تعثرا وصعوبات معقدة نتيجة إصرار إسرائيل على خارطة للانسحاب قدمتها الجمعة، لإعادة انتشار وإعادة تموضع للجيش الإسرائيلي وليس انسحابا، وتتضمن إبقاء القوات العسكرية على أكثر من 40 في المئة من مساحة قطاع غزة وهو ما ترفضه حماس".

وحذر المصدر من أن خارطة الانسحاب "تهدف إلى حشر مئات الآلاف من النازحين في جزء من منطقة غرب رفح تمهيدا لتنفيذ تهجير المواطنين إلى مصر أو بلدان أخرى، وهذا ما ترفضه حماس".

وشدد على أن وفد حماس المفاوض "لن يقبل الخرائط الإسرائيلية المقدمة لأنها تمثل منح الشرعية لإعادة احتلال حوالي نصف مساحة القطاع وجعل قطاع غزة مناطق معزولة دون معابر ولا حرية التنقل، مثل معسكرات النازية".

وأشار المصدر إلى أن الوسطاء القطريين والمصريين "طلبوا من الطرفين تأجيل التفاوض حول الانسحاب إلى حين وصول المبعوث الأميركي ستيف ويتكوف إلى الدوحة".

وشدد مصدر فلسطيني ثان، وهو مسؤول مطلع، على أن "حماس طالبت بانسحاب القوات الإسرائيلية من كافة المناطق التي تمت إعادة السيطرة الإسرائيلية عليها بعد 2 مارس الماضي" أي بعد انهيار هدنة استمرت لشهرين، متهما إسرائيل بـ"مواصلة سياسة المماطلة وتعطيل الاتفاق لمواصلة حرب الإبادة".

لكنه أشار إلى "تقدم" أحرز بشأن "مسألة المساعدات وملف تبادل الأسرى" الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية ورهائن إسرائيليين محتجزين في قطاع غزة.

ومن بين 251 رهينة خطفوا أثناء هجوم حركة حماس، لا يزال 49 محتجزين في غزة، بينهم 27 أعلنت إسرائيل أنهم لقوا حتفهم.

وقبل عودته الجمعة من زيارة إلى الولايات المتحدة التقى خلالها الرئيس الأميركي دونالد ترامب، صرح نتنياهو الخميس "آمل أن يتسنّى لنا إنجاز (الصفقة) خلال بضعة أيام... سيكون هناك على الأرجح وقف لإطلاق النار لمدّة ستين يوما نخرج خلاله الدفعة الأولى وسنستفيد من مهلة الستين يوما للتفاوض على إنهاء الأمر". لكنه اشترط لذلك أن تتخلّى حماس عن سلاحها وتتوقّف عن حكم القطاع أو إدارته.

وحذّرت الأمم المتحدة السبت من أن نقص الوقود في قطاع غزة بلغ "مستويات حرجة"، ما يهدّد بمفاقمة معاناة سكان القطاع المدمر بفعل الحرب.

وأكدت سبع وكالات تابعة للأمم المتحدة في إعلان مشترك أن "الوقود هو العمود الفقري للبقاء على قيد الحياة في غزة".

وتحدّثت الوكالات عن الحاجة إلى "الوقود لتشغيل المستشفيات وأنظمة المياه وشبكات الصرف الصحي وسيارات الإسعاف والعمليات الإنسانية بكل جوانبها،" لافتة أيضا إلى حاجة المخابز للوقود.

ويواجه القطاع الفلسطيني المحاصر نقصا حادا في الوقود منذ بداية الحرب المدمّرة.

وحذّرت الوكالات وبينها مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا) ومنظمة الصحة العالمية وبرنامج الأغذية العالمي من أن "شح الوقود في غزة بلغ مستويات حرجة".

وأشارت إلى أن "سكان غزة، بعد نحو عامين من الحرب، يواجهون صعوبات قصوى، ولاسيما انعداما معمما للأمن الغذائي. وحين ينفد الوقود، فهذا يلقي عبئا جديدا لا يمكن تحمله على سكان على حافة المجاعة".

> المفاوضات تواجه صعوبات نتيجة إصرار إسرائيل على خارطة للانسحاب تتضمن إبقاء قواتها على أكثر من 40 في المئة من القطاع

وقالت الأمم المتحدة إن الوكالات التي تستجيب للأزمة الإنسانية الكبيرة في أنحاء من القطاع دمّرها القصف الإسرائيلي وتتهدّدها المجاعة "قد تضطر لوقف عملياتها بالكامل" إذا لم يتوافر الوقود الكافي.

وتابعت "يعني ذلك عدم توافر خدمات صحية أو مياه نظيفة أو قدرة على تقديم المساعدات".

وأضافت "دون الوقود الكافي، تواجه غزة انهيارا لجهود الإغاثة الإنسانية،" محذّرة من أنه "دون الوقود، لا يمكن تشغيل المخابز والمطابخ المجتمعية. ستتوقف أنظمة إنتاج المياه والصرف الصحي، ما سيحرم الأسر من مياه شرب آمنة مع تراكم النفايات الصلبة والصرف الصحي في الشوارع".

وقالت الوكالات في بيانها إن "هذه الظروف تعرّض الأسر لتفشي الأمراض الفتاكة وتقرّب أكثر الفئات ضعفا في غزة من الموت".

ويأتي التحذير بعد أيام على تمكّن الأمم المتحدة من إدخال الوقود إلى غزة لأول مرة منذ 130 يوما.

وفيما اعتبرت الوكالات الأممية ذلك "تطورا مرحبا به،" قالت إن الـ75 ألف ليتر من الوقود التي تمكنت من إدخالها، كانت مجرد "جزء يسير مما هو مطلوب يوميا للحفاظ على الحياة اليومية ولاستمرار عمليات توفير المساعدات الحيوية".

وأكدت أن "الوكالات الإنسانية وشركاء الأمم المتحدة لا يبالغون في توصيف الطابع الملح لهذه اللحظة".

وأضافت "يجب السماح بإدخال الوقود إلى غزة بكميات كافية وبشكل منتظم لدعم العمليات المنقذة للحياة".

المأساة تحتاج إلى نهاية عاجلة

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

مصر تأثرت.. لم تتأثر بسد النهضة الإثيوبي

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لا تزال التراشقات مستمرة بين مصر وإثيوبيا حول سد النهضة. قد تكون هدأت الفترة الماضية بعد تجمد المفاوضات وتجاهل الحديث عن العودة إليها، لكن الأزمة عادت إلى دائرة الضوء قبل أيام، بعد أن أعلن رئيس وزراء إثيوبيا آبي أحمد عن افتتاح السد رسميا في سبتمبر المقبل، ودعا دولتي المصب، مصر والسودان، إلى حضور حفل الافتتاح، زاعما أن السد لم يؤثر على البلدين أو ينقص المياه التي تصل إليهما.

استقبل السودان الدعوة بصمت لظروف تمر بها البلاد المنشغلة بوقف حرب مستعرة، واستقبلت مصر الدعوة بتجاهل في البداية، لأنها تحمل تناقضا، فأديس أبابا التي شيدت سدا عملاقا وضربت عرض الحائط بالمفاوضات الرامية لتوقيع اتفاق ينظم آليات ملء السد وتشغيله، دعت القاهرة للاحتفال معها بإنجازه حسب رؤيتها، ثم تحدث وزير الري والموارد المائية المصري هاني سويلم في أحد البرامج، وطرح سؤالا، مفاده: إذا كانت إثيوبيا صادقة في رؤيتها عليها أن توقع اتفاقا ينص على عدم تأثر مصر بسد النهضة؟ مؤكدا وجود آثار كبيرة حاليا وفي المستقبل.

لم تظهر آثار مؤلمة أو يشعر مواطنون بمعاناة حقيقية في الوقت الراهن، لأن مصر اتخذت إجراءات أدت إلى خفض مستوى التداعيات السلبية، مثل مشروعات تبطين الترع والمصارف، والشروع في تحلية مياه البحر، وزيادة عمليات إعادة تدوير المياه، وحض المواطنين على ترشيد الاستهلاك، وسحب كميات من المياه من بحيرة السد العالي في جنوب مصر، وتمثل احتياطيا إستراتيجيا، وكلها كبدت ميزانية الدولة مبالغ باهظة، علاوة على وجود فيضان فوق المتوسط خلال الأعوام القليلة الماضية، وعدم استهلاك السودان حصته كاملة للانشغال بالحرب وإهمال الزراعة وصيانة السدود.

ليس لإثيوبيا منّة أو مجاملة أو ترويض في هذه المحددات، يجعل لها اليد الطولى في خفض الآثار القاتمة الناجمة عن حجز سد النهضة نحو 60 مليار متر مربع من المياه حتى الآن، سوف تصل إلى 74 مليار متر مربع، تعد السعة الكاملة للسد وفقا لما هو معلن من معلومات، وكانت كميات المياه المحتجزة تصل إلى دولتي المصب قبل بناء سد النهضة، وهي خسارة مضاعفة واجهتها مصر، وقد لا تتحدث عنها كثيرا، لأنها خارج حصتها التاريخية، وتقدر بـ55.5 مليار متر مكعب سنويا.

> تأثر مصر، حاليا ومستقبلا، غير مشكوك فيه، وإثيوبيا تعلم ذلك وتحاول القفز عليه من خلال إظهار مرونة لفظية في منع وقوع الضرر

تخشى مصر من المستقبل، إذ يمكن أن تواجه الهضبة الإثيوبية جفافا أو هطولا ضعيفا أو أقل من المتوسط في منسوب الأمطار، وهو خطر داهم فكرت فيه القاهرة عندما انخرطت في جولات عديدة من المفاوضات مع أديس أبابا بلا جدوى، ولم تقدم إثيوبيا ما يطمئن مصر ويؤكد استعدادها لسد العجز الذي قد تواجهه في المستقبل، ما يجعل من حديث رئيس الوزراء آبي أحمد للاستهلاك المحلي والإقليمي والدولي، ووضع الكرة في ملعب مصر بمفردها والإصرار على تصويرها دولة ترفض مشروعات التنمية الطموحة في إثيوبيا، وكأنها تريد حرمان شعبها منها.

تفهم القاهرة رسائل أديس أبابا المتلاحقة، وجميعها لها مآرب سياسية، هدفها التنصل من التوقيع على اتفاق مُلزم، وتعزيز فكرة أن السد له خصوصية وطنية، وإنشاء السدود على الأنهار الدولية لا يجب أن يخضع لتوافقات الدول المتشاطئة، بل إلى إرادة محلية كي يتسنى لإثيوبيا والدول المؤيدة لموقفها أو المتعاطفة مع تصرفاتها بناء سدود في غياب الالتزام بضوابط القانون الدولي، وهو ما ترفضه مصر، وتريد إقرارا إثيوبيا ممهورا بتوقيعها إذا كان كلامها صحيحا.

ما يشغل بال الحكومة في أديس أبابا حاضر يُظهر قدرتها على التلاعب بالمفاوضات، وقدرتها على تحويل سد النهضة من فكرة راودت الكثير من القادة السابقين إلى واقع، ومن حلم إلى صورة براقة تعكس قوة الإرادة، فهو مشروع وطني تنموي يحمل مجموعة من الأهداف السياسية، التي تحفظ لإثيوبيا مكانتها، وورقة تمكنها من الضغط على القاهرة في قضايا إقليمية مهمة، فهناك إشارة واضحة من مسؤولين في أديس أبابا تعبّر عن رغبة في الحصول على نافذة على البحر الأحمر، ولا تريد من القاهرة أن تقف عقبة أمامها، مقابل تقديم تنازلات في أزمة سد النهضة.

وما يشغل مصر هو المستقبل بالنسبة إلى تأثير السد على كميات المياه التي تصل إليها، وعدم المساس بالاتفاقيات التاريخية والحصص التي أقرتها، حيث تريد إثيوبيا، ودول أخرى في حوض النيل، تغيير هذه المعادلة، وسد النهضة مقدمة يمكن أن تجر خلفها ملفات لا تقل حساسية في مجال المياه، كما أن كارثة كبيرة سوف تحل بمصر عندما تنخفض الأمطار ويأتي الفيضان شحيحا، وقتها تتعرض البلاد لمشاكل عميقة في الحصول على المياه، لأنها من الدول التي تعاني نقصا في المياه، وكل طرق العلاج لن تمكنها من سد العجز المتوقع، في وقت لم تبد فيه إثيوبيا تجاوبا لمناقشة هذا الشبح، وتجاهلها يزيد الهواجس المصرية في نوايا أديس أبابا.

بدأت إثيوبيا مشروع سد النهضة بطريقة ليّنة، وقدمت تطمينات شكلية إلى مصر ولعبت على خلافاتها مع السودان فترة، وعندما تحسنت العلاقات بين القاهرة والخرطوم، كشفت أديس أبابا عن وجه آخر فاضح من المراوغة، إلى أن ارتفع السد عاليا وأوشك على الاكتمال في سبتمبر المقبل، ومهما كانت الشكوك الفنية التي تحيط به وعدم القدرة على تشغيل كل التوربينات حتى موعد الافتتاح الرسمي، فهي لا تكفي لتأكيد فشل إثيوبيا أو عجزها عن الإدارة، لأن جزءا من أهدافه السياسية تحقق فعلا.

بات تأثر مصر، حاليا ومستقبلا، غير مشكوك فيه، وإثيوبيا تعلم ذلك وتحاول القفز عليه من خلال إظهار مرونة لفظية في منع وقوع الضرر، وشكلية في الدعوة للمشاركة في الاحتفال، للإيحاء بحرصها على العلاقات مع مصر، وأن الأخيرة تتعنت بلا مبررات، أو هكذا تريد أديس أبابا حفر صورة في ذهن قوى إقليمية ودولية، للتشكيك في الرؤية المصرية ومنع حصولها على تأييد خارجي، وقطع الطريق على جدواها سياسيا، وتأكيد أن إثيوبيا تواصل تصرفاتها لمنع تقديم تنازلات ملموسة.

استفادت إثيوبيا من التحديات الكثيفة التي تحيط بمصر والسودان، وحققت أهدافها من وراء تشييد سد النهضة، وتبدو كأنها حققت جانبا من رؤية مصر في ما يتعلق بإطالة سنوات الملء، حيث طالبت القاهرة بسبع سنوات، وهي المدة التي قامت فيها إثيوبيا بملء السد، من دون التوقيع على اتفاق بهذا المعنى، وهي لا تعني تحليا بحكمة أو تجاوبا مع مطلب مصر، لكنه توافق مع ظروف طبيعية فرضت التأخير، وأوضاع فنية غير مواتية لتقصير مدة الملء، وفي الحالتين هي إشارة وصلت إلى مصر، وفسرت معانيها، وتدفعها نحو مواصلة الشكوك في الخطاب الإثيوبي، ما لم يصطحب معه إجراءات موثقة تحول المضمون النظري إلى عملي ومُلزم.

حيرة مصرية

مصر وسدّ النهضة ومواجهة الأمر الواقع الإثيوبي

مالك الحافظ
كاتب وباحث سوري

بالنسبة إلى مصر، لا يمكن النظر إلى إعلان اكتمال السد من زاوية فنية فحسب، فالحدث يأتي بعد أكثر من عقد من المفاوضات المتعثرة التي لم تُفضِ إلى اتفاق ملزم ينظّم عمليات ملء السد وتشغيله، وهو ما جعل الدولة المصرية تنظر إلى سدّ النهضة خلال المرحلة الحالية على أنه لحظة كاشفة في مسار التنافس الجيوسياسي حول مصادر المياه، انطلاقاً من كونه أداة لإعادة توزيع النفوذ في حوض النيل.

فإعلان إثيوبيا عن اكتمال الأعمال الإنشائية في السد، كان بداية لمرحلة أكثر تعقيداً تتداخل فيها اعتبارات الأمن القومي، والسياسات الإقليمية، وخيارات الرد المصري – السوداني في بيئة مضطربة. ووسط غياب اتفاق ملزم لإدارة السد، يصبح اكتماله إعلاناً ضمنياً عن نمط جديد من إدارة القوة في الإقليم، تتقدمه أديس أبابا بواقع مائي تفرضه بشكل فعلي غير تفاوضي.

لقد بات من الواضح أن الصراع على المياه، الذي طالما خضع لحسابات القانون الدولي والترتيبات الثنائية أو الجماعية، ينتقل إلى حقل سياسي صريح، تتداخل فيه رهانات السيادة، ومصالح الفاعلين الإقليميين، وحدود التفاهم الممكن بين دول المصب والمنبع.

أمام معضلة وجودية مركّبة، فمن جهة، تملك مصر حججاً قانونية قوية تستند إلى اتفاقيتي 1929 و1959، اللتين نظّمتا توزيع مياه النيل وأقرتا بحقوق تاريخية واضحة لها. لكن من جهة أخرى، وجدت القاهرة نفسها عاجزة عن ترجمة هذا الإطار القانوني إلى ضمانات تنفيذية، بسبب غياب إرادة سياسية إثيوبية للتوافق، وبسبب غموض الموقف الدولي، وتقلبات المشهدين الإقليمي والدولي.

الأزمة المائية التي تهدد مصر اليوم لا تقتصر على مسألة كمية المياه التي ستُحجب بسبب عمليات الملء أو التشغيل، بل تمتد إلى البنية العميقة لعلاقة الدولة بالمجتمع، وبمفهوم السيادة ذاته. فالمياه بالنسبة إلى دولة ذات كثافة سكانية عالية واقتصاد زراعي معتمد على نهر النيل تمثّل عنصراً أساسياً في معادلة الأمن القومي. وليس مصادفة أن الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي نفسه قد وصف السد في أكثر من مناسبة بأنه "تهديد لوجود الدولة،" وهو وصف يُعبّر عن إدراك ضمني بأن الأزمة تتجاوز بعدها البيئي إلى بعدها السيادي.

إثيوبيا من جانبها، نجحت في فرض منطق أحادي في إدارة الملف، مستفيدة من الهشاشة السياسية التي أصابت الإقليم بعد ثورات 2011، ومن الانكفاء الدولي عن الانخراط الجدي في تسوية النزاعات طويلة الأمد. لقد استطاعت حكومة آبي أحمد أن تنقل السجال من مستوى "التقاسم العادل للمياه" إلى مستوى "الحق السيادي في استثمار الموارد الطبيعية،" وهي عملية تبدو قانونياً إشكالية، لكنها سياسياً باتت أمراً واقعاً. وفي غياب أيّ التزامات قانونية صلبة، فإن هذا النهج الإثيوبي يرسّخ سابقة خطيرة، ليس فقط في حوض النيل، وإنما في مجمل منظومات الأحواض النهرية في أفريقيا.

> السد اختبار لقدرة القاهرة على الدفاع عن مصالحها الحيوية ضمن نظام عالمي تتراجع فيه فاعلية القانون أمام منطق المصالح والنفوذ

لقد شكّل مشروع سدّ النهضة لإثيوبيا؛ ركيزة داخلية لإعادة إنتاج السلطة وتثبيت شرعية الحكومة في بيئة اجتماعية شديدة التنوّع والتوتّر. فقد وُظّف السد باعتباره رمزاً للوحدة الوطنية في بلد تَحكمه توازنات إثنية دقيقة وتتنازعه تناقضات فيدرالية حادّة. وبالنسبة إلى حكومة آبي أحمد، مثّل المشروع أحد آخر ما تبقّى من أدوات الحشد الداخلي، في ظل تصدّع الجبهة السياسية، وتراجع الزخم الإصلاحي، وتصاعد النزاعات المسلحة، خصوصاً في إقليم تيغراي ومحيطه. لذا، فإن فهم سلوك أديس أبابا في ملف المياه لا يكتمل من دون قراءة علاقته بالبنية السياسية الداخلية، باعتبار السد جزءاً من سردية الشرعية والتمكين.

السودان، الذي كان يُفترض أن يكون شريكاً محورياً في الدفاع عن الحقوق المائية المشتركة، غُيّب بفعل انهياره الداخلي والحرب المستمرة منذ نيسان 2023. هذا التغييب كان نتاج فراغ في مؤسسات الدولة، وتفكّك في القرار السيادي، وانشغال تام بصراعات السلطة داخل البلاد. وبهذا، فإن أحد أهم الأطراف الثلاثة في ملف سد النهضة بات خارج المعادلة الفعلية، ما ضيّق على مصر خياراتها ووسّع هامش الحركة أمام إثيوبيا.

ما يُعمّق هذا المشهد المعقّد هو غياب توازن عربي فاعل في الملف. ومع تعدد الحسابات الجيوسياسية، وغياب مقاربة عربية جماعية، أصبحت مصر مضطرة لإدارة الأزمة بصورة أحادية، رغم أن المسألة تمسّ واحدة من أهم ركائز الأمن العربي المشترك.

التحولات الجارية دفعت مصر إلى اعتماد مقاربات متعددة، تتراوح بين العمل الدبلوماسي الحثيث، ومحاولات تدويل الملف، وتوقيع اتفاقات تعاون عسكري مع عدد من الدول الأفريقية المحيطة بإثيوبيا، في محاولة لخلق شبكة من التحالفات التي تُوازن اختلال القوة. لكنّ هذه الأدوات تظل محدودة التأثير ما لم يُعد بناء الموقف الدولي حول ضرورة وجود اتفاق قانوني مُلزم يضمن الحقوق المائية ويحدّ من الإجراءات الأحادية. فالصمت الدولي، سواء من الاتحاد الأوروبي أو من مجلس الأمن، أسهم في ترسيخ واقع جديد يُكافئ الطرف الذي يفرض الوقائع بالقوة.

رغم تعدد الخطوات التي انتهجتها القاهرة لإدارة الأزمة، من توقيع اتفاقات التعاون العسكري، إلى السعي الحثيث نحو تدويل الملف، إلا أنّ هذه المقاربات لم تُسفر عن تغيير ملموس في مواقف الأطراف الفاعلة. ويُطرح هنا سؤال جوهري حول عدم نجاح مصر في خلق توازن ردعي، رغم امتلاكها لأدوات قانونية وتحالفات تقليدية. هل يعود ذلك إلى تآكل ثقلها الإقليمي، أم إلى غياب إرادة دولية ضاغطة، أم إلى تحفّظات أفريقية على تدخلات غير نهرية في قضايا السيادة.

في العمق، تعكس أزمة سد النهضة مأزقاً بنيوياً يتجاوز مصر وإثيوبيا، ليطال كامل بنية النظام الإقليمي في أفريقيا، فالصراع يدور حول من يملك سلطة ترسيم حدود النفوذ والقرار في القرن الحادي والعشرين. ومادامت المؤسسات الإقليمية غير قادرة على بناء آلية فعالة لتسوية النزاعات العابرة للحدود، فإن النماذج الأحادية كالسد الإثيوبي مرشحة للتكرار، وهو ما يُهدد بتحويل الأنهار إلى أدوات للهيمنة.

إن استشراف المرحلة المقبلة يفرض على مصر التفكير في أدوات جديدة لا تقتصر على رد الفعل، بقدر ما تسعى إلى إعادة صياغة الموازين بطرق ذكية ومستدامة. هذا يتطلب أولاً التمسّك بمبدأ القانون الدولي كمرجعية، ولكن أيضاً تطوير أدوات التأثير في الداخل الأفريقي، سواء عبر دعم مشروعات تنموية بديلة، أو تعزيز الشراكات الاقتصادية التي تجعل من التعاون مع مصر مكسباً لا يمكن التضحية به.

سد النهضة هو اختبار حقيقي لقدرة القاهرة على الدفاع عن مصالحها الحيوية ضمن نظام عالمي تتراجع فيه فاعلية القانون أمام منطق المصالح والنفوذ. ومع اتساع الهشاشة الإقليمية، تبدو الخيارات صعبة، لكنها ليست معدومة. ولعلّ ما تحتاجه مصر اليوم سردية جديدة تُعيد صياغة ملف النيل بوصفه قضية بقاء؛ سردية تستند إلى الشرعية، وتُعبّر عن ثقلها التاريخي، دون أن تنزلق إلى ردود أفعال مرتجلة أو شعاراتية.

معضلة مركّبة

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني
مدير التحرير
مختار الدبابي
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

مالي والنيجر مسرحان لاستعراض نفوذ داعش والقاعدة

الضعف الحكومي وانشغال الداعم الروسي يسهلان سيطرة المتشددين

الانسحاب الغربي (الفرنسي والأميركي) من الحرب على الإرهاب كان بمثابة هدية للجهاديين سواء التابعين للقاعدة أو داعش لملء الفراغ الأمني في ضوء ضعف الحكومات المحلية وضعف الدعم الذي يحصلان عليه من روسيا المنشغلة بالحرب في أوكرانيا. هذه السهولة مكنت التنظيمين من مساحات جديدة ينتظر لاحقا أن تتحول إلى حرب نفوذ طاحنة بينهما.

هشام النجار
كاتب مصري

تبدو السلطات في مالي والنيجر في أضعف حالاتها، وبانتظار ما سيسفر عنه صراع الإرادات ومسابقات النفوذ بين فرعي تنظيمي داعش والقاعدة، في ظل أمر واقع لا يملك أيّ طرف القدرة على تغييره، وبعد أن أفلت زمام المبادرة من يد الحكومة العسكرية في باماكو ونيامي.

امتلكت السلطة في الأولى (باماكو) هامشا من المناورة، قبل الانقلاب العسكري ورحيل الفرنسيين وتمركز الروس، ساعدها على التلويح بفرضية الاقتراب من فرع القاعدة وعقد تفاهمات معه على حساب تحييد فرع داعش وإخراجه من المعادلة.

وتغير المشهد حاليا بصورة فاجأت الكثيرين؛ حيث باتت الحكومة العسكرية في مالي مع غياب فرنسي وأميركي، وحضور روسي غير ناجز وشبه مستسلم، هي الطرف الأضعف في المعادلة.

ويتسابق الفرعان الجهاديان (داعش والقاعدة) على من يحسم الصراع نهائيا لصالحه، ما يعني أن مصير الدولة عنوانه محسوم لهما، والخلاف فقط يتعلق باسم الجناح الذي ينجح في الحسم، وهل هو فرع القاعدة (جماعة نصرة الإسلام والمسلمين) أم فرع داعش (تنظيم داعش في الصحراء الكبرى).

لم يترك الفاعلان خلال شهري مايو ويونيو مظهرا من مظاهر تأكيد السبق وحيازة القوة إلا وحرصا على إبرازه، في سياقات مرحلة تمهيدية تسبق سيناريوهات عديدة، تدور في الفلك الديني المتطرف.

وكبّد فرع القاعدة في منطقة الساحل الأفريقي (جماعة نصرة الإسلام والمسلمين) القوات الحكومية في مالي وقوات فاغنر الروسية خسائر كبيرة ضمن هجمات متتالية، واختطف عددا من القادة المحليين في يونيو الماضي، وهو ما رد عليه فرع تنظيم داعش بشن هجوم أودى بحياة العشرات من الأشخاص في غرب النيجر لامتصاص واحتواء صدى عمليات فرع القاعدة.

كلما زاد فرع القاعدة تمدده داخل مالي، زاد فرع داعش من عملياته النوعية على طول الحدود بين النيجر ومالي ممعنا في حضوره النوعي باتجاه العاصمة نيامي، ما يُفسر كثافة هجمات التنظيمين في البلدين في يونيو الماضي وبداية يوليو الجاري.

أوحت العمليات والعمليات المضادة لفرعي تنظيمي القاعدة وداعش في الساحل والصحراء، أن ردود الأفعال على هجمات إرهابية لم تعد تأتي من قبل القوات الحكومية كرد انتقامي، كما كان يحدث في السابق، إنما يأتي الرد من التنظيم المسلح المنافس بتنفيذ عملية إرهابية أخرى، حتى لا يسمح أحدهما للآخر بكسب أرضية ونفوذ أوسع.

> كلما زاد فرع القاعدة تمدده داخل مالي، زاد فرع داعش من عملياته النوعية على طول الحدود بين النيجر ومالي

وعلى الرغم من التنافس الشرس بين التنظيمين، إلا أن تحالفات أحدهما وعملياته وطبيعة الطرف المستهدف أفادت الآخر، كونهما يُواجهان أعداء مشتركين.

لم يُرهق فرع داعش نفسه كثيرا في مناوشات مع قوات فاغنر الروسية، في الوقت نفسه استفاد بشكل مباشر من الاستهدافات النوعية التي ينفذها فرع القاعدة وحلفاؤه بجبهة تحرير أزواد لفاغنر وضد ما يسمى بـ"الفيلق الأفريقي" المدعوم من موسكو.

نفذ المتمردون الأزواد، في منتصف يونيو الماضي، هجوما كبيرا بمنطقة كيدال شمالي مالي، ما أودى بحيات العشرات من الجنود الماليين وجنود "الفيلق الأفريقي"، وإلحاق خسائر كبيرة بالمعدات العسكرية.

ومن منطلق تداخل مناطق النفوذ بين فرعي داعش والقاعدة تمكن التنظيمان من الاستفادة دعائيا من عمليات الآخر، وروج داعش في دعايته المُوجهة لكسب مجندين جدد لنفسه على أنه من يحمي ثروات البلاد الوطنية في مواجهة استنزاف موسكو لها التي بدأت شركاتها تحل في مختلف المجالات محل الشركات الغربية.

استثمر فرع القاعدة عملياته وهجماته، وهي الأضخم والأكثر اتساعا وتنويعا في الأهداف، لصرف الانتباه عن تنظيم داعش وجعل السكان ينفضون عنه بالتوازي مع هدم الثقة في القوات الحكومية.

لم يترك فرع داعش في الساحل الأفريقي غريمه التكفيري (فرع القاعدة) ينعم وحده باستثمار عملياته، وزاحمه دعائيا بهدف التجنيد، من جهة طبيعة الرسائل السياسية أو الدينية العقدية.

ومع اختلاف التكتيكات التجنيدية، إلا أن التنظيمين كادا يتساويان في مستويات أعداد التابعين والمجندين، حيث أثمرت تكتيكاتهما المتناقضة عن نتائج متقاربة.

واستخدم فرع القاعدة سياسة العصا والجزرة، فهو يضغط بالترهيب والحصار والتجويع، ليحصل على استسلام مشروط وعقد تفاهمات بين وجهاء المنطقة تقضي بنيل شرعية السيطرة مقابل حماية المدنيين وتوفير الأمن والغذاء.

وعقدت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين (فرع القاعدة بمنطقة الساحل) تفاهمات مع السكان المحليين بعد الموافقة على إنهاء حصار مدنهم في الوسط والشمال.

واستخدم فرع داعش سياسة أكثر قسوة وفتكا وترهيبا للسكان في سبيل إجبارهم على اعتناق أدبياته ومنحه السيطرة وشرعية تطبيق مناهجه المتطرفة.

القوات الحكومية تعجز عن وقف سيطرة الجهاديين

ولا يكتفي التنظيمان المتنافسان بما يجبيانه من أموال من السكان المحليين في نظير حماية مصالحهم، والتعاون مع تشكيلات الجريمة المنظمة بهدف مضاعفة الموارد ومصادر التمويل، ويحرصان على تهديد الشركات الأجنبية للحصول منها على إتاوات بمبالغ ضخمة في مقابل حمايتها والسماح لها بالعمل.

استطاع فرعا القاعدة وداعش عبر تكتيكات متشابكة أن يكونا التنظيمين الأكثر حضورا ونفوذا، ونجحا في زعزعة الثقة بالحكومة العسكرية بشكل كبير، لدى قوات فاغنر وشركات أجنبية، فضلا عن السكان المحليين.

توازى مع هز الثقة في الحكومة وتصويرها عاجزة عن التعامل مع نفوذ هائل ومتصاعد للتنظيمين، زحف ميداني حثيث باتجاه العاصمتين نيامي وباماكو.

وإذا كان فرعا داعش والقاعدة نجحا في ضرب حصار فعلي على عاصمة النيجر (نيامي) بعد قطع خطوط الاتصالات الأرضية التي تربطها بمقاطعات البلاد، فإن العاصمة المالية (باماكو) تعاني من حصار مشابه، بعد نشاط دؤوب خاصة لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين تضمن تعطيل الكثير من الأنشطة الاقتصادية واستهداف البنية التحتية مثل المرافق والطرق.

وكي يحظى غالبية السكان بالأمن والحماية وضمان الحصول على الغذاء، فليس أمامهم سوى عقد تفاهمات مع الجماعات المتمردة النافذة، ما أسهم بشكل كبير في إحراز تقدم ملموس في سياق تحقيق هدف تقويض سلطة الدولة في باماكو.

نجح فرعا داعش والقاعدة في مالي والنيجر في الحد من مقدرة الحكومة العسكرية على استعراض القوة، من خلال حصار قواتها وتعطيل طرق النقل وعزل عواصم المقاطعات عن العاصمة المركزية.

بات من الصعب في البلدين تأكيد الحكومة سلطتها، لأن قدرتها على توفير الأمن والخدمات الأساسية للمواطنين تضاءلت إلى الحد الأدنى، بالتوازي مع توفير المسلحين لها، وهو ما خلق العديد من مناطق الهيمنة والنفوذ الخاضعة لهم.

وبدأت المقاطع الدعائية لكل من القاعدة وداعش تؤتي ثمارها في البلدين وتلقى استجابات، بالنظر لما يوفرانه من أمن وغذاء للمناطق المحرومة والمهمشة، كما أن السكان يلمسون مدى تأثير وحضور التنظيمات التكفيرية التي تدير صراعاتها بأسلوب براغماتي وعسكري متطور.

من المُرجح أن يجد التنظيمان صيغة تفاهم بينهما بشأن توزيع مناطق النفوذ والسيطرة وعدم الدخول في صراعات خشنة تفتح نافذة للتراجع بعد التقدم الهائل الذي نجحا في إحرازه.

وسوف يصبح إنهاء مظاهر التنافس الميداني والدعائي بين الأجنحة التكفيرية هو الحل الأكثر أمانا بالنسبة إليهما لضمان المواصلة في طريق تشكيل خطر حقيقي يهدد سلطة باماكو ونيامي، وإحداث فراغ كبير في السلطة يمكن استغلاله.

نجح تنظيما القاعدة وداعش في خلق حالة من انعدام الأمن والاستقرار والتشكيك في شرعية الحكومات العسكرية في مالي والنيجر، إلا أن الطريق إلى المحطة التالية من السيطرة يحتاج إلى تفاهمات متينة بين الجهاديين وبعضهم بعضا.

هيمنة الصين على تقنيات الشاشات تهدد الأمن القومي الأميركي

واشنطن - تعد تقنيات الشاشات من المكونات الأساسية في العديد من الصناعات الحيوية وتشهد هذه السوق العالمية تزايدا في النفوذ الصيني، ما يسلط الضوء على تحولات كبرى في سلاسل الإمداد والتكنولوجيا المتقدمة.

وقال الباحث مارك مونتغمري، مدير مركز الابتكار السيبراني والتقني في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات، والباحث كريغ سينغلتون، مدير أول برنامج الصين في المؤسسة نفسها ودبلوماسي أميركي سابق، في تقرير نشرته مجلة ناشونيال إنتريست الأميركية إن هيمنة الصين في تقنيات الشاشات تشكل تهديدا خطيرا للأمن القومي، ما يستدعي تحركا عاجلا من الولايات المتحدة لتأمين سلاسل الإمداد.

وفي الشهر الماضي، كشف خبراء طاقة أميركيون عن وجود أجهزة إرسال خلوية مخفية داخل محولات طاقة شمسية صينية الصنع، وهي مكونات حيوية تربط بين الألواح الشمسية والبطاريات وشواحن المركبات الكهربائية بالشبكة الكهربائية. هذه الأجهزة الخارجة عن السيطرة تتجاوز أنظمة الحماية المثبتة، ما يمنح الصين على الأرجح "مفتاح قتل" سري يمكنه تعطيل أجزاء من البنية التحتية للطاقة الأميركية.

ومع إنتاج الصين الآن لأكثر من 70 في المئة من شاشات العرض في العالم وتصدرها للإنتاج في مجال شاشات "أو إل إي دي"، فإن كل شاشة صينية في أنظمة التحكم وعرض البيانات، من شاشات خوذ الطيارين المقاتلين إلى شاشات السونار في الغواصات، تواجه خطرا مماثلا بتعطيل غير معلن من خلال باب خلفي.

وتماما كما استخدمت الشركات الصينية تمويلا ضخما مدعوما من الدولة لإغراق الأسواق الدفاعية العالمية بطائرات مسيّرة وبطاريات رخيصة، ضخت بكين المليارات من الدولارات في شكل دعم حكومي وإعفاءات ضريبية وقروض منخفضة التكلفة لبناء أكبر مصانع شاشات عرض في العالم.

ومكنت هذه الاستثمارات الصين من الاستحواذ على صناعة تبلغ قيمتها 182 مليار دولار، من المتوقع أن تتضاعف بحلول عام 2034، ما أدى إلى خفض أسعار اللوحات إلى مستويات متدنية للغاية بحيث لم يعد بإمكان أيّ منافس أميركي أو أيّ من الدول الحليفة دخول السوق بشكل له جدوى.

واليوم، تنفق وزارة الدفاع الأميركية أكثر من 300 مليون دولار سنويا على شاشات العرض الحيوية للمهام، وهو رقم مرشح ليتجاوز 600 مليون دولار بحلول عام 2034. ومع اختفاء الموردين غير الصينيين تقريبا، أصبحت سلاسل إمداد الشاشات العالمية، بما في ذلك تلك التي تدعم الأنظمة الدفاعية الأميركية ، معرضة لخطر أن تصبح رهينة لأهواء بكين الإستراتيجية في المستقبل.

ويقول الباحثان إن المشكلة هي أن الشاشات في الحروب الحديثة باتت ضرورية مثل الذخيرة. فمراكز المعلومات القتالية البحرية، وأبراج مراقبة الملاحة الجوية الدولية، ومراكز القيادة المتنقلة في الميدان، ووحدات العناية المركزة في مستشفيات الطوارئ، جميعها تعتمد على شاشات العرض، والكثير منها مصنع أو مصدّر من الصين. وتشكل الشاشات أيضا العمود الفقري لأجهزة الرؤية الليلية من الجيل الجديد، وشاشات الخوذ المثبتة، ومخططي المهام المحمولة، ما يعني أن الاعتماد على شاشات صينية في هذه الأنظمة قد يعرض المشغلين الأفراد لخطر انقطاع مفاجئ.

وقد يكون من الصعب تخيل مدى ما يمكن أن تفعله بكين، لكن واشنطن يجب أن تستعد لأسوأ السيناريوهات. ففي أوقات الأزمات أو التوترات المتصاعدة، يمكن للصين أن تدفع تحديثات خبيثة عبر الهواء تتسبب في تعطيل الشاشات المتصلة بالإنترنت، أو تجميد شاشات قمرة القيادة أثناء الطيران، أو تعطيل الشاشات الحيوية في مناطق القتال.

حيرة أميركية أمام التحدي الصيني

وحتى الأعطال المتقطعة يمكن أن تقوض ثقة القادة بهذه الأنظمة، ما قد يمنعهم من اتخاذ قرارات حاسمة في لحظات مفصلية.

ويمكن تطبيق الشيء نفسه على الشاشات المستخدمة في مراقبة وتشغيل البنى التحتية الحيوية مثل شبكات الكهرباء وأنظمة المياه والسكك الحديدية والمطارات. ورغم أن هذه السيناريوهات تبدو متطرفة، فإنها تؤكد لماذا لا يمكن اعتبار أمن الشاشات مسألة ثانوية بعد الآن.

> البنتاغون ينفق أكثر من 300 مليون دولار سنويا على شاشات العرض الحيوية، وهو رقم مرشح ليتجاوز 600 مليون دولار

وحتى في غياب الأبواب الخلفية، فإن هيمنة بكين على سوق الشاشات وسلاسل الإمداد المرتبطة بها تعد ثغرة في الأمن القومي. فالشركات الصينية المدعومة والمسيطر عليها من قبل الدولة، مثل "بي أو إي" و"سي إس أو تي" و"إتش كي سي"، تهيمن على تصنيع لوحات الشاشات، كما تسيطر الصين على المدخلات الحيوية في صناعة الشاشات، من الزجاج المتخصص وأكسيد الإنديوم القصديري إلى الفوسفورات الأرضية النادرة والغازات المتخصصة.

وسبق أن حولت بكين مثل هذه التبعيات إلى سلاح. ففي عام 2010، أوقفت فجأة صادرات العناصر الأرضية النادرة إلى اليابان، ما أدى إلى ارتفاع الأسعار العالمية واندلاع أزمة دبلوماسية. وفي أبريل الماضي، وفي ظل تصاعد الحرب التجارية مع واشنطن، أعلنت الصين قيودا على تصدير مغناطيسات النيوديميوم، الضرورية لصناعة السيارات والدفاع الأميركية، ما أجبر خطوط إنتاج أميركية على التوقف. وفي مارس حظرت تصدير الجاليوم إلى الولايات المتحدة، وهو معدن أساسي في أجهزة الرادار التي تتعقب الصواريخ الفرط صوتية.

وبدأ بعض أعضاء الكونغرس بالفعل في قرع ناقوس الخطر. ففي خريف العام الماضي، كتب النائب جون مولينار (جمهوري عن ولاية ميشيغان)، رئيس اللجنة المختارة في مجلس النواب الخاصة بالحزب الشيوعي الصيني، رسالة إلى وزير الدفاع حينها لويد أوستن، حذر فيها من أن هيمنة الصين على صناعة الشاشات العالمية تشكل تهديدا واضحا للأمن القومي.

ودعا مولينار وزارة الدفاع إلى التحقيق في علاقات محتملة بين كبرى شركات تصنيع الشاشات الصينية وجيش التحرير الشعبي، والنظر في تصنيفها كشركات عسكرية صينية ضمن القائمة "إتش 1260" الخاصة بالبنتاغون، والتي تحظر التعاقد مع تلك الشركات. وعلى وزير الدفاع الجديد بيت هيجسث أن يتخذ إجراءات طال انتظارها بشأن هذه الرسالة.

ويقول الباحثان إنه يمكن فعل المزيد. فعلى وزارة التجارة الأميركية تقييم كبرى شركات تصنيع الشاشات الصينية للنظر في إدراجها ضمن قائمة الكيانات، ما يؤدي إلى قطع نقل التكنولوجيا الأميركية الحيوية ومبيعات المعدات لتلك الشركات. وفي الوقت ذاته، يمكن لمكتب الممثل التجاري الأميركي إطلاق تحقيق بموجب المادة 301 بشأن الممارسات التجارية غير العادلة، أو يمكن لوزارة التجارة إطلاق تحقيق بموجب المادة 232 الخاصة بالأمن القومي ضد شاشات وأجزاء الشاشات الصينية، ما يمهد الطريق لفرض رسوم جمركية انتقائية.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

وجهان متنافران يكرسان الصراع الأيديولوجي في الجزائر

ليلى عسلاوي وزكريا بلخير

لا التداول على السلطة ولا تسليم المشعل يعيقان الصقور

صابر بليدي
صحافي جزائري

فجّر التعيين المتزامن للقاضية والوزيرة السابقة ليلى عسلاوي على رأس المحكمة الدستورية، والنائب زكريا بلخير على رأس لجنة التربية والتعليم في المجلس الشعبي الوطني، جدلا قويا في دوائر سياسية وحزبية في الجزائر، وبين شعار تسليم المشعل للشباب المعطل، وهيمنة الحرس القديم على مفاصل السلطة، وحتى انفتاح أفق المرأة في البلاد، علق المتجادلون خصوماتهم، إلا أن الخلفية الأيديولوجية لكلا الوجهين كانت القطرة التي أفاضت الكأس مجددا، وأحيت انقساما مزمنا داخل المجتمع بين ما يعرف بالديمقراطيين العلمانيين وبين الإسلاميين المحافظين.

الفجوة العميقة بين الشعارات والخطب السياسية وبين الممارسة العملية في ما يتعلق بمسألة التداول على السلطة في البلاد تأكدت مرة أخرى

فيما كان وزير الشباب مصطفى حيداوي (43 عاما) يتلو رسالة الرئيس عبدالمجيد تبون أمام الحاضرين لتظاهرة المرصد الوطني للشباب والمجتمع المدني، أين حثهم على "اكتساح الساحة والمشاركة الواسعة في إدارة وصناعة الشأن العام،" نزل العدد الأخير من الجريدة الرسمية، الذي تضمن تعيين نفس الرجل، للقاضية ليلى عسلاوي (80 عاما) على رأس المحكمة الدستورية، بعد شغور المنصب غداة تنحي رئيسها السابق عمر بلحاج (80 عاما) هو الآخر لأسباب صحية، وفيما ساد الاعتقاد أنه سيذهب إلى راحة آخر العمر، عيّن سفيرا في دولة الكويت.

وتجددت بذلك المفارقة العجيبة لدى الشارع الجزائري، حيث تأكدت مرة أخرى الفجوة العميقة بين الشعارات والخطب السياسية، وبين الممارسة العملية في ما يتعلق بمسألة التداول على السلطة في البلاد، الأمر الذي أفضى إلى صراع حاد بين الأجيال، وأثبت مجددا أن الفرص المتاحة هنا وهناك، هي مجرد محاولات لاستقطاب الشباب لمعترك الشأن العام، بينما تبقى المفاتيح الأساسية بحوزة الحرس القديم.

وأمام الحظوظ التي باتت تكفلها المجالس المنتخبة وحتى الحكومة، لفئة الشباب من أجل ممارسة المسؤولية، إلا أن صلاحيات ونفوذ هؤلاء المحدود، يؤكد أن دورهم لا يتعدى حدود الواجهة الرسمية، فقد ترأس براء بن قرينة، ابن رئيس حركة البناء الوطني عبدالقادر بن قرينة، لجنة الدفاع الوطني، لكن ما بوسع ذلك الشاب الغض أن يفعله هو ولجنته أمام سطوة ونفوذ قيادة المؤسسة العسكرية، المحيّدة أصلا عن المساءلة والرقابة بموجب تشريعات رسمية.

تناقضات الخطاب والواقع

على شاكلة ابن بن قرينة الغض يزاول منتخبون في مجالس محلية ووطنية ومسؤولون في بعض الأجهزة التنفيذية مهامهم، وحتى إن كانوا يملكون المناعة اللازمة لمواجهة نفوذ "الكهول"، وهي الصفة التي يطلقها الجزائريون على الأجيال المخضرمة في المسؤوليات وفي الإدارة، فإن صلاحياتهم لا يمكن أن تتعدى حدود المكاتب التي يمارسون فيها مهامهم.

وحتى تعيين النائب "الحمسي" (حركة مجتمع السلم الإخوانية) المثير للجدل زكريا بلخير، على رأس لجنة التربية والتعليم العالي والشؤون الدينية، لا ينتظر منه الكثير، فزيادة على كونه لا يتعدى حدود الظاهرة الصوتية، فإن المخاوف التي رفعها خصومه في التيار العلماني، من تأثير أو توجيه لعمل اللجنة نحو ترسيخ البعد الإخواني في القطاعات المعنية، بعيد تماما عن الواقع، فهو يمثل حركة سياسية لا تملك النفوذ اللازم أمام الأغلبية المطلقة لأحزاب السلطة، وتكتفي منذ تنصيب البرلمان الجديد بأداء دور المعارضة من أجل تنفيس بالونات الهواء لا غير.

وعلى نفس النسق تخندق إسلاميون ومحافظون، ضد الرئيسة الجديدة للمحكمة الدستورية ليلى عسلاوي بسبب عقيدتها ومواقفها النضالية المناهضة للإسلاميين منذ مطلع تسعينات القرن الماضي، وأمام يأسهم من أيّ مفعول لانتقاداتهم وضغطهم للحيلولة دون عودة الصقور إلى الواجهة في الآونة الأخيرة، يحاول هؤلاء ركوب موجة السن المتقدم، وإقصاء الشباب، والتخويف من تمدد ما يعرف برموز التيار الاستئصالي.

النائب الإخواني الذي غمرته الفعاليات الإسلامية السياسية والأهلية، بعبارات التهاني بمناسبة المنصب الجديد، يمتلك كغيره من الوجوه الإخوانية ناصية الصوت واللغة ودغدغة المشاعر، خاصة اختيار التوقيت والمكان المناسبين للحضور الإعلامي وإحراج الجهاز الحكومي، بأسئلته الرقابية.

ورغم أنه ينحدر من جناح طبعته البراغماتية السياسية منذ نشأته، إلا أن قناعة حركة مجتمع السلم، بزعامة التيار الإسلامي في الجزائر، رغم أنهم جاؤوا على متن الآلة العسكرية التي حاربت تيار الإسلام الراديكالي في تسعينات القرن الماضي، تطبعه هو الآخر، ولذلك لا يتوانى في الظهور دوما في ثوب المدافع عن ثوابت وقيم المجتمع الجزائري.

وعلى النقيض تماما كانت ليلى عسلاوي، من الشخصيات التي شكلت لجنة إنقاذ الجمهورية نهاية العام 1991، بعد فوز إسلاميي جبهة الإنقاذ بالانتخابات التشريعية، وكانت من محرضي قيادة المؤسسة العسكرية بغية التدخل لوقف المسار الانتخابي، وهو ما تم فعلا في الثاني عشر من يناير 1992.

المفاتيح بأيدي الحرس القديم

ينقل عن المرأة العديد من المواقف التي تنم عن قناعة وعقيدة راسختين ضد الإسلاميين، حيث استقالت من حكومة الرئيس السابق اليامين زروال، العام 1994، حين باشر حوارا سياسيا مع قادة جبهة الإنقاذ في سجنهم بالبليدة، وكانت من المناهضين لقانون الأسرة، ولحكم الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة، بسبب قانوني الوئام المدني والمصالحة الوطنية، باعتبارها إحدى ضحايا الإرهاب، حيث اغتيل زوجها طبيب الأسنان محمد رضا عسلاوي في مكتبه بوسط العاصمة العام 1994.

كما أمرت بطرد كل الموظفات المحجبات، حين شغلت منصب وزيرة الشباب والرياضة، وكانت وراء إبعاد الحارس عنتر عصماني من المنتخب الوطني لكرة القدم، في نفس الفترة، بعدما رفض مصافحته لها في إحدى المباريات.

ليلى عسلاوي، سيدة جزائرية مخضرمة، بدأت مسارها المهني بالقضاء، وها هي تعود إليه في نهايته، وبين المحطتين رصيد من الخبرة والممارسة في مختلف المسؤوليات التنفيذية والسياسية، فشغلت منصب وزيرة الشباب والرياضة في حكومة الراحل سيد أحمد غزالي العام 1992، ثم كاتبة للدولة لدى رئيس الحكومة السابق مقداد سيفي، مكلفة بالتضامن الوطني والأسرة العام 1994، إلى غاية استقالتها بسبب رفضها حوار رئيس الدولة ووزير الدفاع اليامين زروال مع قادة جبهة الإنقاذ.

وبعدها شغلت منصب عضو في مجلس الأمة (الغرفة الثانية للبرلمان)، معينة من طرف الرئيس السابق اليامين زروال ضمن الثلث الرئاسي في1997، وتكرّرت عهدتها النيابية العام 2020، في نفس الهيئة معينة من طرف الرئيس تبون ضمن الثلث الرئاسي أيضا، إلى غاية تعيينها في المنصب الجديد.

ويرى محايدون أن "معظم من تفاجأوا بالقرار لم يتحدثوا عن سنها ولا شكلها ولا لكونها امرأة ، بل للتناقض الذي يطبع عمل وسلوك السلطة المنتصرة، فمن جهة تقيم مؤتمرا شبابيا لأجل إدماج الشباب في الحياة السياسية، ومن جهة أخرى تقوم بتعيين أشخاص من زمن بعيد جدا، فات وقتهم واستُهلكوا بما يكفي".

وقال مدون في فيسبوك "بعيدا عن المنطق الأيديولوجي وعن كون عسلاوي محسوبة على التيار الاستئصالي البائد المعروف ، فإنّ وجودها في منصب حساس يعطي الانطباع أننا نسير إلى الخلف ونستدعي الماضي الأليم لحاضر يتطلب رؤى جديدة وأشخاصا جُددا ودماء جديدة".

صراع عدمي بدل تنافس نزيه

تابع المدون "تعيين عسلاوي يوحي بأن هناك أزمة في تسيير المؤسسات الدستورية، فهل يعقل ألاّ تتوفر شخصية جديدة جديرة بهذا المنصب، والساحة القضائية وهيئات الدفاع مليئة بالكفاءات القانونية القادرة على تسيير المؤسسة الدستورية بحكمة واقتدار، لاسيما وأن تعيين شخصية مثيرة للجدل من شأنه أن يفرغ الزيت على النار في مشهد بدأت فيه أصوات الصراع الأيديولوجي تتصاعد على خلفية الحكم في قضية المؤرخ محمد الأمين بلغيث، والمتجنس بوعلام صنصال".

وأعرب المدون عن أمنيته في الخروج من الصراع الأيديولوجي العدمي إلى حلبة التنافس السياسي العادل والنزيه المفضي إلى السيادة الشعبية وتقوية المؤسسات وبناء الثقة المعطوبة بين السلطة والمجتمع الآخذة في الاتساع.

ورغم تواجده هيكليا وتنظيميا عن حركة مجتمع السلم، وصمته عن خلافات عميقة داخل الحركة، إلا أن الرئيس السابق لـ"حمس" عبدالرزاق مقري، كان من المسارعين بالتعليق، على موقف حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، الرافض لتعيين النائب زكريا بلخير على رأس لجنة التربية والتعليم العالي والشؤون الدينية، لأسباب سياسية وأيديولوجية.

وذكر في منشور له على صفحته الرسمية في فيسبوك "لم أفهم سبب رفع (الأرسيدي) وهو الاختصار اللاتيني لتسمية الحزب المذكور، صوته عند تعيين الشاب زكريا بلخير، على رأس لجنة التربية في المجلس الشعبي الوطني، وبطريقة فيها الكثير من التشدد والتطرف، بمفردات أرجعتنا إلى فترة بداية التسعينات. لم أفهم سبب هذا الموقف الذي ينتمي إلى ذلك العهد، الذي ظنه الكثير بائدا، إلا حينما رأيت وجها قديما فاقعا من وجوه بداية التسعينات يعود إلى الواجهة".

وأضاف "لم أفهم هذا إلا من زاوية أنه أراد التمهيد للتغطية على سؤال طرحه بالفعل الكثير من الجزائريين عن سبب تعيين امرأة تعبت كثيرا في الشأن العام عبر السنين الطويلة في عمرها لرئاسة المحكمة الدستورية، تُحسب على التيار الذي ينتمي إليه حزب الأرسيدي، أو ما يُسمى في المصطلح السياسي الجزائري (الاستئصاليون). الكثير من الجزائريين طرحوا السؤال: لماذا العودة إلى فتح جراح الماضي؟ ألم يصادق الجزائريون بالاستفتاء على المصالحة الوطنية؟ أم أن المعركة الأيديولوجية لا تزال مستمرة؟"

المفاتيح الأساسية بحوزة الحرس القديم

هل يعقل ألا تتوفر شخصية جديدة جديرة برئاسة المحكمة الدستورية، والساحة القضائية مليئة بالكفاءات القانونية القادرة على تسيير المؤسسة

وتابع "إذا كانت خلفية مسؤول الأرسيدي هي إظهار التوازن في القرارات بين تعيين عسلاوي والشاب بلخير فإنه لم يفلح في ذلك، زكريا أخذ منصبه في لجنة التربية بالأصوات الشعبية التي أخذتها حمس في الانتخابات التشريعية، وهو موقع لا يُقدم ولا يؤخر في قرار الدولة، أما ليلى عسلاوي فقد عُيِّنتْ في منصب سيادي بقرار من رئيس الجمهورية".

وألمح المتحدث، إلى صمت خصومه في الحزب العلماني المعارض، بشأن قضية الباحث والمؤرخ المسجون محمد الأمين بلغيث، وكانت النتيجة أنه أخذ نفس حكم بوعلام صنصال، وظهر بأن الدولة تقف على الحياد بين تيارين متصارعين منذ التسعينات، مع أن صنصال اتهم بقضية خطيرة جدا تتعلق بالسيادة، في حين أن بلغيث قال كلاما سبق له أن قاله عدة مرات، وقاله غيره مرات ومرات، بما يبين بأن ثمة شيئا جديدا يتحرك، لن يكون بكل تأكيد لصالح التيار الذي ينتمي إليه بلغيث، فقد ظهر هذا التيار على قدر عال من السذاجة، ولو راجع نفسه لعلم بأنه مثل ذلك الذي أطلق الرصاص على رجليه فخرج من السباق بنفسه.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

الإسراء والمعراج تستعيد رحلة جلجامش بحثا عن الخلود

ما بين الرحلتين مسافات زمنية وتشابه مذهل في البنية والحكاية

تتشابه أساطير الشعوب بشكل لافت مؤكدة على وجود علاقات تجمع بينها من جهة وعلى ما يمكننا اعتباره تشابها في نظام عمل العقل البشري من جهة أخرى. من هنا فإن حكايات أسطورية مثل ملحمة جلجامش كان لها بالغ الأثر في مختلف الحضارات اللاحقة ومن بينها الحضارة الإسلامية وخاصة في رحلة الإسراء والمعراج.

محمد سعيد احجيوج
كاتب مغربي

تتميز ملحمة جلجامش بكونها أقدم نص أدبي معروف وصلنا بصيغة شبه مكتملة، ما يجعلها شاهدا فريدا على البدايات الأولى للوعي الإنساني بالكتابة، والسرد، والتأمل في معنى الحياة. نشأت الملحمة في بلاد ما بين النهرين قبل خمسة آلاف سنة، انطلاقا من حكايات بطولية سومرية، منفصلة، وتطورت عبر قرون إلى أن استقرت نسختها البابلية الأكثر اكتمالا كأول نص من نوعه يمثل تصنيف الملحمة. ورغم أنها تحكي عن ملك سومري قديم، إلا أنها تتجاوز حدود الزمان والمكان لتؤسس تقليدا أدبيا عالميا ترسخ في وجدان الإنسانية عبر الحضارات.

ملحمة جلجامش تشترك مع قصة الإسراء والمعراج، رغم الفجوة الزمنية الهائلة والاختلاف الثقافي والديني الجذري بينهما

تكتسب دراسة هذه الملحمة أهمية استثنائية عندما ندرك أنها تمثل أول محاولة إنسانية منظمة لتدوين التساؤلات الوجودية الكبرى التي ما زالت تشغل الإنسان حتى اليوم. فمن خلال شخصية جلجامش، الملك الذي يبحث عن الخلود بعد فقدان صديقه إنكيدو، نجد أول تجسيد أدبي للصراع الإنساني مع الموت والبحث عن المعنى والهدف من الحياة.

إن تتبع تاريخ هذه الملحمة يكشف لنا عن رحلة معقدة من الانتقال الثقافي والتطور الحضاري. فالنص الذي وصل إلينا في صورته الأكدية المتأخرة، يحمل في طياته طبقات من الحكايات السومرية الأقدم التي تعود إلى بداية التاريخ (أي اختراع الكتابة). هذه الطبقات المتراكمة تعكس كيف أن الحضارات المتعاقبة في بلاد ما بين النهرين قد أعادت تشكيل وصياغة هذه القصة الأساسية، مضيفة إليها من قيمها وتطلعاتها الروحية، حتى تحولت من مجرد قصص محلية إلى نص أدبي عالمي يخاطب الإنسان، وهمومه الجوهرية، في كل مكان.

لم يتوقف تأثير ملحمة جلجامش عند حدود بلاد ما بين النهرين. فالباحثون المعاصرون يتتبعون خيوطا واضحة من التأثير تمتد من هذه الملحمة البابلية إلى أعظم الأعمال الأدبية في التاريخ الإنساني. نجد صدى جلجامش في الإلياذة والأوديسة بصيغة ما عاد يمكن إنكارها، وكذلك تأثيرها واضح على قصص العهد القديم، خاصة قصة الطوفان المفصلة في الملحمة قبل ألف عام على الأقل من ظهورها في العهد القديم.

غير أن هذا التأثير الواسع لملحمة جلجامش لم يكن مجرد استنساخ أو نقل حرفي. فكل حضارة وثقافة أعادت تشكيل هذا النموذج الأسطوري وفقا لقيمها وتطلعاتها الروحية الخاصة، أحيانا بالتحوير قليلا مع الاحتفاظ بالهيكل العام (كما فعلت الحضارة البابلية حين استعارت الحكايات السومرية بتعديلات طفيفة، وإن كانت قد شملت تحويل اسم البطل من بلقيموس إلى جلجامش)، وأحيانا بتحويرات مدمرة كما فعلت طائفة قمران (اليهودية الغنوصية) التي احتفظت بالإطار الشكلي للملحمة لكنها حوّلت جلجامش إلى خصم شيطاني في مقابل البطل التوحيدي أخنوخ، وأحيانا باستعارات عبر ثقافات وسيطة كما حدث مع الإغريق الذين استعاروا موتيفات الملحمة محوّرة من الثقافة الحيثية.

ولم يخل التراث الإسلامي من هذا التلاقح مع الثقافة البابلية ممثلة في ملحمة جلجامش، لكن عبر وسيط هو الموروث اليهودي (أو كما يطلق عليه: الإسرائيليات) وذلك من خلال قصة النبي بلوقيا (التي ترسخت بشكل كامل ضمن حكايات ألف ليل وليلة قادمة من كتب قصص الأنبياء، وهي القادمة من قبل ذلك من الموروث اليهودي عبر قصة تحتفي بالبطل بلوقيا (واسمه محرف من اسم جلجامش الأصلي في السومرية: بلقيموس)، غير أن عبور تلك الحكايات إلى الثقافة الإسلامية، واليهودية من قبل، فرض عليها تحويرات كبيرة لتنقيتها من طابعها الوثني ومنحها الرؤية التوحيدية المتناسبة مع الثقافة السائدة.

في هذا السياق تمثل قصة رحلتَي الإسراء والمعراج نموذجا لهذا التفاعل الإبداعي مع التراث الأسطوري الإنساني. فهذه القصة، التي تحكي عن رحلة النبي محمد الليلية من مكة إلى بيت المقدس ثم صعوده إلى السماوات العلا، تحمل في بنيتها السردية صدى واضحًا لنفس النموذج الأسطوري الذي نجده في ملحمة جلجامش. لكنها في الوقت نفسه تعيد تشكيل هذا النموذج بطريقة تتماشى مع الرؤية التوحيدية الإسلامية، مما ينتج عنه نص يجمع بين الأصالة والتجديد، بين الوفاء للتراث الإنساني المشترك والتفرد بالرؤية الدينية الخاصة.

في هذا العرض الموجز نضع هاتين الرحلتين الاستثنائيتين جنبا إلى جنب، لنفهم كيف تتفاعل الحاجات الإنسانية العميقة مع التعبيرات الدينية والثقافية المختلفة. فمن خلال مقارنة رحلة جلجامش بعد فقدان إنكيدو مع رحلة النبي محمد خلال عام الحزن، يمكننا أن نفهم كيف أن نفس الألم الإنساني قد يؤدي إلى تجارب روحية استثنائية، وكيف أن البحث عن المعنى والتجاوز يتخذ أشكالا مختلفة عبر الثقافات والعصور، محتفظا في نفس الوقت بجوهره الإنساني العميق.

الوحدات السردية

تتكون ملحمة جلجامش من أحد عشر لوحا أساسيا تحكي قصة جلجامش، ملك أوروك، وصديقه إنكيدو، الذي خلقته الآلهة من طين الأرض دون أب ولا أم ليكون المعادل لجلجامش في قوته ويشغله عن ظلم رعيته، فكان ذلك بداية قصة من الصداقة الفريدة والمغامرات المشتركة. لكن لدواعي هذه الدراسة، وضيق المساحة، فإن ما يهمنا من الملحمة في هذا المقام هو نصفها الثاني الذي يبدأ مع موت إنكيدو في اللوح السابع، ورحلة التيه التي خاض فيها جلجامش بحثا عن سر الخلود.

تبدأ الوحدة السردية الأولى بما يمكن تسميته الصدمة الوجودية، وهي اللحظة التي يواجه فيها جلجامش موت صديقه وشريكه في المغامرات إنكيدو. لا تكمن هذه الصدمة فقط في فقدان الصديق الحميم، بل في المواجهة المباشرة والمفاجئة مع حقيقة الفناء. رؤية جسد إنكيدو وهو يتحلل أمامه والدود يخرج من أنفه زرعت في نفسه رعبا وجوديا صادما وضعه أمام سؤال: إذا كان إنكيدو القوي قد مات، فما الذي يضمن عدم موتي أنا أيضا؟

يقود هذا التساؤل إلى الوحدة السردية الثانية حيث يتخذ جلجامش قرارا يمثل انقلابا كاملا في حياته: سيترك عرش أوروك وحياة الملوك ويذهب للبحث عن الخلود. يخلع ثيابه الملكية ويرتدي جلود الأسود، ويترك شعره وأظافره تنمو، متحولا إلى شخص بري يشبه إنكيدو في حالته الأولى قبل أن يتحضر.

تتمثل الوحدة السردية الثالثة في الرحلة عبر العوالم حيث لا يكتفي جلجامش بالسفر عبر الأراضي المألوفة، بل يتجه نحو حافة العالم المعروف ليعبر ممر الشمس؛ المكان المقدس والمحظور الذي تسلكه الشمس في رحلتها الليلية من المغرب إلى المشرق. هذا العبور يحرسه رجال العقارب، كائنات أسطورية نصف بشرية ونصف عقربية تمثل حراس عتبة العالم الآخر. رحلة جلجامش عبر هذا الممر في ظلام دامس لمدة اثنتي عشرة ساعة تمثل رمزيا رحلة الموت والولادة الجديدة، العبور من حالة إلى أخرى.

ومن هناك يصل إلى حافة العالم، التي لا يمكن لأحد تخطيها. هناك يلتقي مع سيدوري، الساقية الإلهية التي تحاول، ضمنيا، إغراءه بالبقاء معها (كما ستفعل كاليبسو لاحقا مع أدوسيوس في ملحمة الأوديسة). نصيحة سيدوري لجلجامش بأن يتوقف عن البحث عن الخلود وأن يستمتع بالحياة الدنيا، ويسعى إلى الزوجة والولد. لكن جلجامش يرفض هذه النصيحة لأن حزنه على إنكيدو جعله غير قادر على الاستمتاع بأي شيء، وهو يبحث عن الخلود ولا شيء آخر.

تتمثل الوحدة الخامسة في العبور إلى عالم الخلود، حيث يتوجب على جلجامش عبور مياه الموت للوصول إلى أوتنابشتم، الإنسان الوحيد الذي حصل على الخلود بعد نجاته من الطوفان العظيم. هذا العبور يتطلب مساعدة أورشنابي البحار، الذي يملك المعرفة الخاصة بكيفية التنقل بين العوالم المختلفة. مياه الموت سامة إلى درجة أن لمسها يعني الموت الفوري، مما يجعل العبور رحلة محفوفة بالمخاطر تتطلب مهارة استثنائية ومعرفة دقيقة بالطقوس المطلوبة.

تتمثل الوحدة السادسة في اللقاء مع أوتنابشتم، حيث يتعرف جلجامش على تفاصيل قصة الطوفان العظيم وكيف أن الآلهة قررت إهلاك البشرية، لكن الإله إيا حذر أوتنابشتم سرا وأمره ببناء فلك لإنقاذ نفسه وأسرته. تكشف هذه القصة عن أن حصول أوتنابشتم على الخلود كان حدثا استثنائيا لن يتكرر.

ومع إصرار جلجامش على طلب الخلود يتحداه أوتنابشتم أن يبقى مستيقظا لسبعة أيام وسبع ليال، لكن الفشل كان نصيب جلجامش، والسؤال الضمني: إذا كان لا يستطيع التغلب على النوم، فكيف يمكنه التغلب على الموت؟ فشل جلجامش في هذا الاختبار البسيط ظاهريا يكشف له ضعفه البشري وعجزه عن تجاوز أبسط حدود الطبيعة البشرية.

لكن رغم فشله، وبدافع الإشفاق، يحصل جلجامش على فرصة أخيرة تتمثل في "نبتة الخلود" التي تنمو في قاع البحر. غوص جلجامش لجلب هذه النبتة يمثل رحلة أخرى إلى عالم يهدد بالموت. يحضر جلجامش النبتة لكنه سرعان ما يفقدها حين يتركها أعلى البئر حين ينزل للاستحمام فيأتي ثعبان ويسرق النبتة، ويحصل على سر التجديد وتغيير الجلد كترميز إلى أن الطبيعة وحدها هي التي تملك سر التجديد، وليس الإنسان. هذا الفقدان يقود جلجامش إلى الحكمة الأخيرة: الخلود الحقيقي يكمن في الأعمال الخالدة والذكر الطيب، وليس في الحياة الأبدية، كما سيظهر له في الأخير عند عودته وهو يتأمل أسوار أوروك.

كما في رحلة جلجامش، تمثل صدمة الفراق والمواجهة الوجودية الحادة مع الموت منطلقا لرحلتي الإسراء والمعراج التي جاءت تسرية من الله لعبده الحامل لرسالته خلال فترة سميت بعام الحزن بسبب فقد النبي محمد لكل من حاميه، عمه أبا طالب، وسنده العاطفي، زوجته السيدة خديجة.

تبدأ الحكاية السردية بالتهيئة الروحية، حيث يأتي ملكان النبيّ خلال نومه ومعهما طست من ذهب مملوء بماء زمزم. يشقان صدر النبي ويخرجان قلبه، ثم يغسلانه ويخرجان منه كل ما يمكن أن يجعله غير مؤهل للرحلة الاستثنائية القادمة. يمثل هذا الطقس التطهيري ولادة جديدة تختلف عن طقوس البعث في الأساطير القديمة بطبيعتها الإلهية التكريمية.

تتمثل الوحدة السردية الثانية في رحلة الإسراء حيث يُحضر للنبي البراق، الدابة المجنحة التي تضع حافرها عند منتهى بصرها. هذه الرحلة من مكة إلى بيت المقدس تتم في جزء من الليل، متجاوزة القوانين الفيزيائية العادية. في بيت المقدس، يصلي النبي بالأنبياء السابقين إماما، تأكيدا على شمولية الرسالة المحمدية التي تتوج وتختتم جميع الرسالات السابقة.

الوحدة الثالثة هي رحلة المعراج، الصعود عبر السماوات السبع. كل سماء تمثل مستوى أعلى من الوجود، وفي كل سماء يلتقي النبي بنبي من الأنبياء السابقين.

تتمثل الوحدة السردية الرابعة في الوصول إلى سدرة المنتهى، الشجرة التي تنتهي عندها علوم الخلق جميعا. هذا المكان يمثل الحد الأقصى الذي يمكن أن يصل إليه أي مخلوق، حتى جبريل عليه السلام يقف عند هذا الحد. وحده النبي يرفع إلى مستوى يتجاوز كل الحدود المخلوقة ويحدث اللقاء، قاب قوسين أو أدنى، مع الله، ومن هناك يحصل النبي على الصلاة كهدية من الله للأمة. الصلاة التي تمثل الرابط الدائم بين الإنسان والله، كوسيلة للارتقاء الروحي اليومي.

تشابه البنية

عند وضع الوحدات السردية للنصين جنبا إلى جنب، تظهر تشابهات مذهلة في البنية الأساسية رغم الاختلاف الجذري في السياق الثقافي والديني. كلا النصين يبدآن بأزمة عاطفية عميقة تدفع البطل إلى الخروج من عالمه المألوف. في ملحمة جلجامش، موت إنكيدو يصدم جلجامش ويجعله يواجه حقيقة الفناء، بينما في الإسراء والمعراج، الفقد المزدوج للعم والزوجة يترك النبي في حالة من العزلة العاطفية بعد فقدان السند والحماية.

التطهير الروحي يلعب دورا محوريا في كلا النصين. في الملحمة، أوتنابشتم يطلب من جلجامش أن يغتسل ويتطهر من أدران الرحلة قبل أن يكشف له سر الخلود، بينما في الإسراء، الملكان يغسلان قلب النبي بماء زمزم ويخرجان منه كل ما يمكن أن يعيق الرحلة الروحية. تتجاوز رمزية التطهير مستوى التنظيف الجسدي ليصير تهيئة روحية للانتقال إلى مستوى أعلى من الوجود.

جلجامش أسطورة أثرت في كل ما بعدها

النمط المزدوج للحركة الأفقية ثم العمودية يتكرر في كلا النصين. جلجامش يسافر أفقيا (أي في العالم الأرضي) عبر الصحاري والجبال للوصول إلى ممر الشمس، أما عبور مياه الموت فهي رحلة عمودية تمثل مفارقة العالم الأرضي والانتقال إلى عالم وزمن غير بشريين. بالمثل، يسافر النبي أفقيا من مكة إلى بيت المقدس، ثم يسافر عموديا عبر السماوات السبع. هذا النمط المزدوج يرمز إلى أن الرحلة الروحية تتطلب تجاوز الحدود المكانية والزمانية للوصول إلى البعد الروحي الأعلى.

كذلك نرى أنه في رحلة الانتقال العمودي، بين العوالم، من العالم الأرضي الفاني إلى جنة الخلد التي أسكنت فيها الآلهة أوتنابشتم، لا يمكن لجلجامش أن ينتقل بالاعتماد على نفسه. يتطلب هذا الانتقال تملك القدرة والصلاحية على العبور، فخلقت الحكاية البحّار أورشنابي ليقود جلجامش عبر بحر مياه الموت، كما سيفعل جبريل مع النبي محمد وهو يقوده من سماء إلى أخرى حتى سدرة المنتهى.

تظهر الرحلة الليلية في كلا النصين كرمز للانتقال من الوعي العادي إلى الوعي الروحي الأعلى. يعبر جلجامش ممر الشمس في ظلام دامس لساعات تمثل رحلة عودة الشمس من المغرب إلى المشرق، والنبي يسري من مكة إلى القدس ليلا.

يشكل اللقاء مع الأسلاف وحدة مهمة في كلا النصين. يلتقي جلجامش بأوتنابشتم الذي ينقل له قصة الطوفان ويمنحه حكمة المعرفة ثم حكمة إدراك استحالة تجاوز الموت، ويلتقي النبي بسلسلة من الأنبياء السابقين في كل سماء، مع التركيز على أهمية لقاء النبي موسى الذي ينصح النبي محمد، أكثر من مرة، بمراجعة الله في عدد الصلوات حتى يخفضها الله من الرقم الأول، خمسين صلاة، إلى خمس صلوات في اليوم.

الحصول على الهدية الإلهية يختتم الرحلة في كلا النصين. جلجامش يحصل على نبتة الخلود، والنبي يحصل على الصلاة. لكن الاختلاف المهم هو أن جلجامش يفقد هديته للثعبان، بينما النبي يعود بهديته إلى أمته.

ترفض الحكاية منح جلجامش الخلود، وتمنحه بديلا عن ذلك حكمة إدراك استحالة التغلب على الموت. وأما رحلة المعراج فتمنح النبي مفتاح نيل الخلود في الحياة الثانية: الصلاة، التي تمثل حبل الود الممتد، والتواصل المباشر، بين العبد والله. تدرك حكاية المعراج منذ البدء استحالة التغلب على الموت، السردية الدينية ترفض من حيث طبيعتها فكرة الحياة الأبدية على الأرض، فالجزاء والثواب جوهر أي سردية دينية توحيدية ودونها يفقد الدين شرط وجوده. لذلك لا تشغل حكاية المعراج نفسها بالبحث عن عشبة الخلود أو تجديد البدن، بل هي منذ البدء تضع عينيها على الانتقال إلى الجنة؛ الخلود هناك.

وحدة التجربة الإنسانية

تؤكد هذه الدراسة المقارنة على حقيقة جوهرية مهمة: أن التجربة الإنسانية الأساسية في بحثها عن المعنى واحدة، لكن تعبيراتها متنوعة بتنوع الثقافات والأديان والحضارات. الحزن والفقدان، البحث عن المعنى، والحاجة إلى التجاوز الروحي، هذه كلها تجارب إنسانية مشتركة تجد تعبيرها في نصوص مختلفة عبر التاريخ، محتفظة بجوهرها رغم اختلاف أشكال التعبير.

تشترك ملحمة جلجامش والإسراء والمعراج، رغم الفجوة الزمنية الهائلة والاختلاف الثقافي والديني الجذري، في نفس البنية الأسطورية الأساسية: الرحلة من المألوف إلى المجهول، التطهير والتهيئة الروحية، اللقاء مع المقدس، والعودة بالحكمة والهدية. هذا التشابه البنيوي لا يقلل من تفرد أي من النصين، بل يؤكد على أن الإبداع الإنساني يتفاعل مع الأنماط الأسطورية الأساسية ويعيد تشكيلها في قوالب جديدة تتناسب مع السياق الثقافي والروحي للحضارة المنتجة.

دراسة كيفية عبور النماذج الأسطورية من ملحمة جلجامش إلى الثقافات اللاحقة تكشف عن آليات ممتدة للتفاعل الحضاري

العبور الثقافي للنماذج الأسطورية من ملحمة جلجامش إلى النصوص اللاحقة، ومن بينها قصة الإسراء والمعراج، يكشف أن الثقافات الإنسانية ليست جزرا معزولة، بل هي جزء من قارة واحدة من التجربة الإنسانية المشتركة. كل ثقافة تأخذ من التراث الإنساني المشترك وتضيف إليه، وتعيد تشكيل النماذج القديمة بما يتناسب مع رؤيتها الخاصة للوجود والحياة والألوهية. وأن هذا التنوع في التعبير مع وحدة التجربة الأساسية يعكس ثراء الإبداع الإنساني وقدرته على تحويل الألم إلى جمال، والحزن إلى حكمة، والفقدان إلى نمو روحي.

في النهاية، لا يمكنني إلا الإقرار بتواضع هذه الدراسة التي لم تلمس المشترك الإنساني بين الرحلتين إلا على المستوى السطحي، على أمل العودة مستقبلا بدراسة أعمق ومنهج أكثر تماسكا. وكذلك، تجب الإشارة إلى وجود تماثل قوي بين حكاية المعراج وقصة أخرى تعود إلى نفس فترة ملحمة جلجامش، هي قصة صعود الملك إيتانا، على ظهر نسر ضخم (يماثل البراق). تتطرق تلك الحكاية هي الأخرى إلى موضوعة الخلود، لكن من زاوية الحفاظ على النسل، حيث تظهر سعي الملك المحموم للحصول على وريث، وتعذر الأمر عليه يقوده في رحلة معراج سماوي لجلب عشبة الولادة التي ستمنحه الوريث المطلوب لاستمرار نسله، وخلوده على الأرض.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

السيطرة والهيمنة الذكوريتان ليستا فزاعة بل واقع معيش

هاجر خنفير: الحرية والكرامة من المقولات الخطيرة عندما تتعلقان بالنساء

ما تزال الحركة أو الحركات النسوية العربية تواجه التهميش والتشويه وترد الفعل بالتالي بطرق غير مدروسة، وهو ما جعل تأثيرها وانتشارها محدودين، علاوة على تفاقم ظواهر الأصولية والتطرف، ما رسخ بالتالي من واقع يقمع المرأة مهما ادعى العكس. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الباحثة والأكاديمية التونسية هاجر خنفير المختصة في الخطاب النسوي حول ملامح هذا الخطاب ومقترحاته.

محمد القذافي مسعود
صحافي ليبيي

خاضت الدكتورة هاجر خنفير مسيرة بحثية مميزة منذ تحصلها على الأستاذية في الآداب واللغة العربية سنة 1993، ثم على شهادة الماجستير سنة 2003 – كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، وحصولها سنة 2012 على أطروحة دكتوراه عنوانها "إشكاليات الخطاب النسوي العربي في النصف الثاني من القرن العشرين."

وإن كانت تشغل حاليا منصب أستاذة مساعدة في اللغة العربية في المعهد العالي للغات بتونس، فإن انشغالاتها في التدريس لم تمنعها من تقديم إسهامات متنوعة في مجال الدراسات النسوية والمقاربة الجندرية.

الذكورية والمؤسسة الدينية

● العرب: ما هي "الدوافع الموضوعية" التي جعلتك تتطرقين إلى مجاهل الخطاب النسوي العربي المعاصر وتعملين على تفكيكه؟

■ لقد لقي الخطاب النسوي العربي منذ بوادره الأولى ردود فعل تراوحت غالبا بين الحذر والتشويه والتهميش، وبلغ حد اتهام بعض النسويات المعاصرات بالتمرد مثل نظيرة زين الدين وهدى شعراوي اللتين دعتا إلى السفور، وتعرضتا للتكفير مثلما كان الأمر مع نوال السعداوي.

لقد كان لهذا الخطاب المضاد المنتشر في ربوع العالم العربي آليات دعاية ضخمة بسيطرته على وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي واستغلال الفضاءات الدينية، علاوة على امتلاك دعاة هذا الخطاب القدرة الإقناعية برفع شعارات الدفاع عن الهوية والأخلاق وحماية الإسلام وحفظ الاستقرار.

وبذلك لعب هذا الخطاب وظيفة تأثيرية وتحريضية ضد الخطاب النسوي حتى صار خطابا مطاردا ومطرودا دون وعي فعلي بحقيقة ما يطرحه من إشكاليات أو معرفة بتنوع خلفياته ومقارباته لا سيما في فترة النصف الثاني من القرن العشرين. ذلك ما دفعني إلى البحث في مضامين هذا الخطاب من خلال بعض النماذج للكشف عن مظاهر ديناميته وعمق أطروحاته وعلاقته بالشريعة من جهة وبالاتفاقيات والمعاهدات الدولية من جهة أخرى. على أن ذلك لا يعني الانسياق في قراءة تمجيدية للجهود النسوية بقدر إبراز أسباب ضعف مردودية هذا الخطاب من داخله.

● العرب: قلت إن "طرح إشكالية أساسية تتمثل في تبين مدى نجاح هذا الخطاب في التأسيس لقطيعة مع التصور التقليدي للعلاقات بين الجنسين وتشكيله لحراك فعلي يقض آليات السيطرة الذكورية." ألا ترين أن هذا الوصف "السيطرة الذكورية" صار فزاعة للمرأة العربية وفيه أيضا شيء من الوهم بات لا يفارق من هو مريض به من بعض النساء؟

■ لا أعتقد أنها فزاعة ولكنني وبعد مرور أكثر من عقد من الزمن على بحثي في هذا الخطاب أضيف إلى السيطرة عبارة الهيمنة رغم أنهما يبدوان مترادفين. فاليوم بات معلوما أن الحديث عن المرأة العربية غير كفيل بالكشف عن دقائق وضعها الذي يختلف من بلاد عربية إلى أخرى. إننا إزاء نساء عربيات تتفاوت درجة تعرضهن للظلم والغبن وتختلف أشكال العنف المسلط عليهن باختلاف الثقافة والقيم التي يتبناها المجتمع.

وفي هذا الإطار يتنزل حديثنا عن السيطرة الذكورية إذا كانت ممارسات القوة والتسلط بينة ووظيفتها القمعية مباشرة وآنية ونذكر على سبيل المثال جرائم القتل على الشرف التي ما تزال بعض الدول العربية والإسلامية تماطل في تجريمها أو الاغتصاب الزوجي الذي ظل موضوعا مسكوتا عنه في جل مدونات الأحوال الشخصية أو يعبر عنه في أفضل الحالات بالإكراه واستمرار عادة ختان الإناث في بعض الدول الإسلامية (الصومال/ مصر/ السودان) إضافة إلى تواصل ظاهرة زواج القاصرات بفعل مرونة قانونية تتفاوت درجتها من بلد إلى آخر (اليمن / السودان).

ولا يخفى أن مثل هذه الممارسات هي وليدة براديغم الهيمنة الذي تنهض عليه العلاقات الجندرية في المجتمعات الذكورية بشكل عام. ويكفي النظر في التمثلات السائدة للأنوثة والذكورة لنتبين بيسر التمييز الجندري الذي يشرع للهيمنة الذكورية، فهي الكائن الناقص الضعيف التابع ولا صلاح لها إلا بإخضاعها وضبطها ومراقبتها. ليست السيطرة والهيمنة الذكوريتين فزاعة بل واقعا تختلف علاماته من مجتمع إلى آخر، ولكن الفزاعة في رأيي هي تلك الاتهامات الموجهة لكل الجهود النقدية الرامية إلى فضح أشكال التحيز الذكوري بدءا من الأنساق الثقافية وصولا إلى أدق تفاصيل اليومي. فأية صورة لهذا الحقوقي/ة أو النسوي/ة أو الباحث/ة تتشكل لدى مجتمعات قلقة على مصير هويتها الثقافية وقد وُصمت أفكاره ومواقفه بالخيانة والعمالة أو التغريب أو إثارة الفتنة.

● العرب: تقولين "مسألة إمامة المرأة تعد تجديدا في الدين وليست مساسا بقدسيته." سيفسر البعض هذا على أنه معارضة لما جاء في الدين الإسلامي تحديدا "القرآن" وما عرفه العامة؟ من يحسم هذا الأمر؟

■ بالنظر إلى تجارب ريادية في إمامة النساء (أمينة ودود بجنوب أفريقيا/ إلهام المانع بألمانيا/ شيرين خانكان بالدانمارك) يمكن القول إن الإقدام على تولي هذه الوظيفة يُعد فعلا ثوريا ضد التراتبية التي تحكم الفضاء الديني والوظائف الدينية والشعائر وهي تراتبية أقرها الفقهاء بناء على قراءات موجهة للحديث النبوي "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة."

وتتنزل هذه التجربة التي تكررت في بلدان غربية ذات أقليات مسلمة في نطاق إعادة النظر في موقع المرأة المسلمة من المشهد الديني وخرق الأسيجة التي تفرضها المعرفة الدينية الذكورية وهو هدف يجمع جل أطياف النسوية الإسلامية. ومن الأحكام المتسرعة القول إن في هذا الرأي معارضة للقرآن بل يندرج في صلب مقاصد الشريعة باعتباره تكريسا لمبدأ المساواة بين البشر وحصر الأفضلية في شرط التقوى. لكن مسألة الحسم في هذا الجدل لا يمكن أن تتحقق في مجتمعات تقودها المؤسسة الدينية الرافضة لكافة ضروب التجديد في الخطاب الديني تنظيرا وممارسة وخاصة إذا كانت مربكة للصورة النمطية للمرأة المسلمة.

● العرب: الحديث عن إمامة المرأة أو إلغاء عدة الطلاق والمساواة في الميراث... إثارة هذه المواضيع تعد من المحظورات في مجتمعات لا تؤمن بحرية الفكر أو الاختلاف في الرأي ألا ترين أنها مجازفة أو مخاطرة بحياة الباحث أو من يحركها؟

التابوهات تتغير بإيقاع متفاوت السرعة والقوة من بلد عربي إلى آخر، وذلك وفق درجة تطور العلاقات الاجتماعية

■ لا يتوانى ممثلو المؤسسة الدينية في المجتمعات العربية والإسلامية في اتهام كل من خرج عن تعاليمهم وخرق ما اعتبروه من الثوابت بأنه عدو الإسلام، مثلما كان حظ أمينة ودود سنة 2005 وقد أقدمت على الإمامة. وكذلك كان الترهيب من المبادرة التشريعية حول أحكام المواريث بتونس فهبت طائفة من رجال الزيتونة وبعض رجال القانون المحافظين للتعبير عن رفضهم لهذا المقترح. ويذكرنا ذلك بموقف شيوخ الزيتونة من الطاهر الحداد إثر صدور كتابه امرأتنا في الشريعة والمجتمع.

تلك ضريبة الفكر النقدي الذي لا يهادن ولا يجامل بل يعتنق مبدأ حرية التعبير والرأي فيكشف عن ثغرات تلك الخطابات الموسومة بالصلابة والمتانة ويبرز علامات ما أطلقت عليه رجاء بن سلامة الهذيان الأصولي.. هي مغامرة العقل الحر ومخاطرة بالنفس من أجل الدفاع عن الحق في التفكير والمعتقد والحياة.

رهائن الماضي والتوحش

● العرب: خطر الأصوليات ما زال قائما، والأصولية ليست واحدة بل أصوليات متعددة. هل يمكن تصنيف طائفة من النساء ضمن الأصولية الأشد خطرا؟

■ يكفي النظر في تجارب النساء المنتميات إلى تنظيم داعش واعترافاتهن الموثقة لنتبين خطورة الوظائف التي قمن بها وحرصهن على إثبات أهليتهن "للجهاد"، فهن في اختبار مستمر لأدائهن في الحياة الخاصة والعامة حتى ينلن رضا القادة من الرجال ونجاحهن في ذلك يكون بإظهارهن الولاء والالتزام ولو بالتضحية بالنفس.

بالإضافة إلى هذه الطائفة يمكن الحديث عن صنف آخر من النساء وإن كان ظهورهن مختلفا شكلا ومضمونا وذلك من خلال الداعيات اللواتي يشكل خطابهن سلطة مضادة للخطاب التنويري الحقوقي وللحراك الفكري النسوي. فباستقراء رسائلهن الموجهة لجمهور النساء يتضح عملهن على تكريس مقولة نقص الأنثى وضرورة عملها على تطبيق التعاليم الشرعية بدءا من طاعة الزوج إلى شطب الجسد باعتباره مصدر فتنة. وقد تكون خطورة الداعيات أشد من الإرهابيات باعتبار قدرتهن على دس السم (دونية المرأة) في العسل (الشرعية الدينية للخطاب).

● العرب: في أغلب محاولات التغيير في العالم العربي كانت التنظيمات الإسلامية تتصدر المشهد بالمبادرات والتحركات ماذا يعني هذا؟

■ أية مبادرات تقدمت بها هذه التنظيمات وأية إصلاحات؟ هل تمكنت من تحويل الشعوب العربية من دور الاستهلاك إلى دور المنتج؟ هل عتقتها من موقع التابع إلى موقع المركز؟ إنها لا تعدو أن تكون مرحلة من تاريخ سياسي تحكمه العلاقة المتأزمة بين الحاكم والمحكوم في التاريخ السياسي العربي الإسلامي مثلما ذهب إليه نصر حامد أبو زيد، ولا يعني هذا أن ما عدا ذلك من الأنظمة الحاكمة هو أفضل أو أقدر على تحقيق تغيير ملحوظ، فحتى ما كان منها رافعا لشعار الديمقراطية لم يقطع مع غاية اكتساب شرعية التنظيمات الإسلامية باتخاذ تدابير تطمئن لها قلوب الجماهير.

● العرب: من يقود إدارة المستقبل؟ ومن أين يجب أن يبدأ التغيير؟

■ أبدأ من السؤال الأخير لأن التغيير لا بد أن ينطلق من وضع المثقف العربي نفسه في علاقته بالسلطة (السياسية والدينية والاجتماعية والأيديولوجية) أو بالأحرى تكون البداية بالنظر في الإكراهات التي تجعل المثقف العربي فاقدا حرية تفكيره واستقلاليته فيكون عاجزا عن الفعل بل عن أداء دوره النقدي وبناء رؤيته الحضارية.

كيف يمكن أن يدار المستقبل بمثل هذا المثقف السلبي؟ كيف يمكن أن تنطلق عملية تغيير النظم التربوية والتعليمية في المجتمعات العربية والمثقف المعني بوضع التصور يخشى ردود فعل القيمين على تلك النظم التقليدية فإما أن ينحني صاغرا أو يفر إلى ما وراء الحدود أو يلقى مصيره خلف القضبان؟ ما أراه أن مستقبلنا ما يزال بيد اثنين في عالمنا هذا: يد من ارتهنوه بالماضي ليعملوا على ترسيخ بنى الهيمنة وقيمها ورفض الحداثة أو أسلمتها، ويد القوى الرأسمالية المتوحشة التي تحرص على تكريس خططها للإبقاء على العالم العربي في وضع التابع.

كيف يمكن أن يدار المستقبل بالمثقف السلبي

الأسئلة الصعبة

● العرب: من يملك حق الاجتهاد وإطلاق الأحكام في المسائل الجدلية؟

■ من أوكد الشروط التي وضعها القدامى من أجل استحقاق صفة العالم في مجال المعرفة الدينية ولم يصرحوا بها إلى جانب الرصيد العلمي هو شرط الذكورة، ويعود ذلك إلى ما قد تتيحه مرتبة العالم لصاحبها من سلطة قد تبلغ حد الزعامة، لذلك كان الحرص على تهميش الأثر العلمي الذي تركته بعض النساء لما قد تحدثه من إرباك للمركزية الذكورية.

أما اليوم واستنادا إلى محاولات تجديد الخطاب الديني على يد عدد مهم المفكرين العرب المعاصرين فقد تغيرت المعايير وبات الأحق بوظيفة الاجتهاد والإفتاء هو ذاك الأقدر على تقديم قراءة للأحكام تناسب الواقع وما تقتضيه المصالح وما يتفق مع قيم المساواة والحرية والعدالة، قبل أن تكون إسقاطا لمنظومة أحكام متعالية عن التاريخ أو تدعي التقيد بالنص وأحكامه وتتجاهل أسباب النزول ومسألة النسخ وغيرها من العلوم التي تدعو إلى التريث والتنسيب وتجنب إطلاقية الأحكام.

● العرب: أين تقف حدود البحث والاجتهاد بالنسبة للباحث؟

■ أعتقد أن الحديث عن حدود للبحث والباحث هو ضرب لمفهوم البحث نفسه مهما كان الاختصاص العلمي. إن أعظم الاكتشافات في التاريخ الإنساني كانت قطعا مع ما كان سائدا في العصور الوسطى وبداية نهضة العالم الأوروبي بثورة الشك في كل الثوابت وبمواجهة سلطة الكهنوت، ولقد أسس ذلك لمرحلة جديدة في تاريخ العلم وهو العلم التجريبي. وكذلك هو الباحث الحقيقي إنه لا يضع أمامه إلا ضابط العقل والحجة والموضوعية والتواضع ويقتضي ذلك شجاعة تحمل مسؤولية ما سيتوصل إليه من نتائج قد تستفز العقل الأصولي الحارس للمعرفة التقليدية. ولا مبالغة إن اعتبرنا أن هذه الشروط التي ذكرنا تسهم في ترسيخ حداثة ما زال العالم العربي يتلمس الطريق إليها.

● العرب: ما هي الأحداث سواء الخاصة أو العامة التي هزتك وطرحت عندك الأسئلة الصعبة؟

■ من أهم الأحداث التي لا أراها تثير فيّ أسئلة بل وتجعلني أشعر بخيبة عميقة إزاء مجتمع مضى على الانطلاق في مشروعه التحديثي أكثر من قرن هي تفاقم جرائم قتل النساء بتونس، فهذا النسق الإجرامي ليس إلا طعنا للحرية وحق الحياة وهو أيضا دليل على فشل القوانين والسياسة التربوية والثقافية الحالية في دحر العنف البنيوي الذي تقوم عليه العلاقات بين الجنسين فجرائم القتل هي الجزء الطافي من الجبل الجليدي الذي يقوم عليه منوال الهيمنة وهو منوال يشرع للعنف بكل أشكاله. والسؤال الحارق: كيف يتسنى وقف نزيف العنف؟ ما الذي يجعل الحرية والكرامة من المقولات الخطيرة عندما تكونان خاصتين بالنساء؟

الخطاب النسوي صار مطاردا ومطرودا دون وعي بحقيقة ما يطرحه من إشكاليات أو معرفة بتنوع خلفياته ومقارباته

● العرب: كيف تنظرين إلى التابوهات في زمننا الحالي هل ما زالت هي نفسها أم تطورت؟ وهل اصطدمت بها في تونس؟

■ تتغير التابوهات بإيقاع متفاوت السرعة والقوة من بلد عربي إلى آخر، وذلك وفق درجة تطور العلاقات الاجتماعية لأن من وظائف التابوهات تنظيم تلك العلاقات وتحديد مسارات التفاعل الاجتماعي، فإذا شرع النظام بتراتبيته وأبنيته التمييزية في الارتجاج فإن تحولا ما ستشهده لائحة التابوهات. وفي هذا السياق مثلا ما زال عدد من المسائل المتعلقة بالحياة الحميمية للمرأة المسلمة والصحة الجنسية أو العلاقات المثلية مدرجا ضمن التابوهات في بعض المجتمعات المسلمة بينما بات الخوض فيها متاحا بلبنان وتونس.

والخطير حسب رأيي ليس اندثار محظورات وظهور أخرى بل ما نراه أحيانا من دعوات إدراج بعض القضايا التي عفى عليها الزمن ضمن المسكوت عنه وهو مؤشر على حضور قوى أهون ما توصف به أنها محافظة أو هي وسطية معتدلة، وتسم نفسها بالإصلاح والصحوة واليقظة فتعود معها الرقابة على ما درج المجتمع على اعتباره من الحريات الفردية وفي هذا السياق مثلا أذكر ما حدث سنة 2022 من مطاردة المفطرين في رمضان داخل فضاءات مغلقة (مقاه) وغير مكشوفة بتهمة التجاهر بالفحش.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

«أغالب مجرى النهر».. دراما روائية تعيد تأمل الهامشي من تاريخ الجزائر

سعيد خطيبي يبني من خلال الخيال رواية مضادة للرواية الرسمية

ما يتجاوز الشخصيات الظاهرة (لوحة للفنان مصطفى بوطاجين)

غالبا ما يتجاهل التاريخ الذي ترويه المصادر الرسمية الكثير من التفاصيل ويهمشها، خاصة ما يتعلق بوطأة الأحداث وتأثيرها على الأفراد، والتحولات الفردية التي تتراكم من ذات إلى أخرى لتصبح في النهاية جماعية. هذه التفاصيل تحتاج إلى الخيال الروائي لفهمها وخاصة للإحساس بها، وهو ما ينجح فيه الروائي الجزائري سعيد خطيبي في روايته التي تسائل التاريخ بطريقة غير مباشرة.

كه يلان محمد
كاتب عراقي

بيئة الهامش سند للأعمال الروائية وتستمد منها الثيمات التي تقوم عليها بنيتها الدرامية. ومن المعلوم أنّ هذه الحاضنة تفور بالحراك الذي يعبّر عن الحياة بتناقضاتها المركبة وأبعادها المتعددة. لذا فمن الطبيعي أنّ يتخذ النص الروائي من هذا الواقع المتشابك مسرحا أثيرا لاشتقاق مواضيعه وصياغة آلياته السردية.

يجوس الكاتب الجزائري سعيد خطيبي في روايته الصادرة حديثا "أغالب مجرى النهر" داخل منطقة يؤدي خطها البياني إلى الجريمة والعربدة والعار السياسي، والأمكنة التي تتحرك فيها الشخصيات الروائية توافق المزاج الغالب على السرد وتشحن الحدث بالزخم إذ يؤطر السجن والمشرحة والعيادة إضافة إلى بيت الهوى المجال الذي تنمو فيه الحبكات والعقد. إذ تتقاطع مصائر الشخصيات وتتضافر خيوط الأحداث ضمن أشواط سردية متتابعة.

دوائر سردية

لا يقيد صاحب "نهاية الصحراء" نبرة روايته بحدث وحيد بل هناك تنويع في تشكيلة الوقائع سواء ما يكون خارج زمن السرد أو ما ينشأ تبعا لتوالي الوحدات السردية.

يترشح من الرمية الأولى ما يوحي بأنّ سعيد خطيبي يريد خلط الأوراق بشأن مقتل شخصية يبدو بأنّ دائرة الاتهام على خلفية الحدث تتسع لعدد من الأشخاص، بدءا من عقيلة، وهي زوجة القتيل، مرورا بعزوز خالدي وابنه ميلود وصولا إلى ثامر وريمة.

على حاشية هذه الحبكة البوليسية المكوّنة من العثور على جثة الطبيب الشرعي مخلوف تومي تنتظم سلسلة من المواد القصصية في متن الرواية. إذ يكون لكل شخصية صندوقها الأسود يضم أضابير حياتها. والأهم في المنحى البنائي في التشكيلة السردية الترابط بين المفاصل التي يقوم عليها الخطاب الروائي بمستوياته المختلفة. وذلك يلاحظ أكثر في الالتماعات التي تعيد بناء المشاهد في ذهن المتلقي.

يستمد النص الروائي الطاقة الإقناعية من البرنامج الذي تنتظم عليه المادة المسرودة، الأمر الذي يجنب تشكيلة العمل من التعثر والتشظي الفني. يرتب سعيد خطيبي أوراق روايته ضمن دوائر يتفاوت فيها مستوى فاعلية الأصوات ومشاركتها. هذا ما يوحي به منطق الأحداث للوهلة الأولى، إذ يخترق طيف عقيلة المجال السردي وما يترامى إلى السمع في مفتتح الرواية، ليس سوى صوت المرأة الموقوفة على خلفية مقتل زوجها.

ما يذكر على لسان الدكتورة عقيلة بأسلوب يضاهي تقنية تيار الوعي يأخذ بالمتلقي نحو دوامة من الفرضيات. لأنّ عقيلة تسترجع في زنزانتها السيناريو الذي قد راودها لقتل مخلوف تومي، إلى هنا ينفرد صوت عقيلة بالقص ملقيا الضوء على ما يعتمل في دخيلتها من الهواجس الكابوسية. يؤرقها مصير الابنة وما يلاحق الأخيرة من السخرية عندما يعرف أصدقاؤها في المستقبل بأنّ الأم كانت في الحبس. هكذا يبدأ العد التنازلي لكشف ملف شخصية الطبيبة وتكوينها الأسري والبيئة التي نشأت فيها إضافة إلى تجربتها العاطفية مع تامر الذي تعرفت عليه عندما كانت طالبة في كلية الطب بالعاصمة.

قبل أن يصل شريط الرواية إلى هذه الحلقات يبدل خطيبي صيغة السرد بتقنية التحقيق البوليسي إذ يفتح المحقق جمال درقين المحضر وتتوالى المعلومات عن حياة عقيلة وعمرها وموقع العمل وبداية معرفتها بمخلوف تومي إلى أن وافق يوم خطوبتها له يوم انتخاب الشاذلي بن جديد للمرة الثانية رئيسا للجزائر. هذا ليس كل ما يذكر في هذا المفصل بل تمرّر شذرات من طفولتها والحياة المراهقة بين تضاعيف النص.

كما أنّ الإشارة إلى اختفاء المروحة في عيادتها وإيداعها الشكوى ضد الجيران من الأحداث التي تطفو إلى سطح الذاكرة ويكون لهذا الموضوع تفصيل لا يرفع عنه النقاب إلا لاحقا، كذلك فإنّ الأسماء التي يملؤها نطاق السرد "سلوى، بودو، ثامر" ليست مجرد كيانات لفظية مكملة للأدوار المنوطة بشخصيات أخرى، بل ينجلي من خلالها الغموض عن الحدث أو تبعد شبح التراخي عن السرد.

النبرة الدرامية

ومن الملاحظ أنّ ما يقع خارج الهموم الشخصية يشحب لونه في المادة المروية. وهذا ما تستشفه في الكلام عن تدشين حملة للوقاية من عدوى السيدا التي يزعم البعض بأنها لا تصيب المسلمين. والأمر لا يختلف كثيرا بالنسبة إلى المشروع الذي يشغل ذهن عقيلة عن افتتاح كلية الطب في بوسعادة وما يعنيه ذلك لمدن الجنوب من أهمية، غير أنّ من تعقد عليه الراوية الرهان لتحقيق هذه الخطوة يخطفه الموت، وبذلك ينتهي مخطط هذا الملف.

> سعيد خطيبي لا يحاكم في روايته الثورة بقدر ما يحاول لفت النظر إلى التأمل في السرديات الرسمية المنقوصة

ما تبوح به عقيلة عن الفكرة التي راودتها لقتل مخلوف ومعاودة السيناريو الإجرامي إلى رأسها عندما تلمّستْ سكاكين وسواطير تصلح لتقطيع أحشاء الزوج معطيات تغلف مقتل مخلوف تومي بالضبابية. وما يرجح فرضية تورط عقيلة في قتل مخلوف أنّ الأخير كان يسرف في سلوكياته المهينة إلى أن زاد الشرخ بين الاثنين.

وبالطبع لاشيء يصعد من النبرة الدرامية في الرواية أكثر من شخصية مخلوف الذي أقنع زوجته باستئصال قرنيتي الموتى في المشرحة التي كان بمثابة ورشة أعماله المشبوهة. يدون اسم الجثة التي ينتزع منها قرنيتي العين. فكان سمير قليش الذي مات بعدما هوى من طابق خامس مع أن جمجمته قد تهشمت لكن لم تفقد قرنيتا عينيه الصلاحية، وذهبتا إلى فوزية الخياطة، وشهلة الدراق، يشار إلى أنّ الأولى ليست أكثر من شخصية فنية أما الثانية تعد مجالا للتنافذ بين عصرين.

على الرغم من متابعة مخلوف للعملية التي كانت تتكرر أمامه غير أنّه لم يتمكن من القيام بإجرائها مخفيا فزعه بالتقوى، ويبرر من جانب آخر ما تنهمك عليه عقيلة من نقل قرنيتي العين من جثة إلى مراجعيها في العيادة بأنّه يضاهي إحياء نفس ومن أحياها كمن أحيا الناس جميعا.

المنعطف الكبير

يهم المؤلف زيادة الطابع الحيوي للنص وذلك ما يحققه التنوع في الصياغة وتضمين النص بكل ما يزيده ارتباطا بالزمن الذي يتناوله، الأمر الذي نجح فيه صاحب "حطب سراييفو" وهو يغطي المظاهر التي زحفت إلى تفاصيل الحياة في مدينة بوسعادة على المستوى المعماري والاجتماعي. فالأراضي التي توقعت عقيلة بأنها ستكون حديقة ومدينة للألعاب قد غزاها الجشع العقاري. كما أنها لم تعد حرة في ملبسها ومشيتها لأنّ نظرات المارة تنهال عليها بشراسة ونهم. ولا تفوته الإشارة إلى تضييق حرية الصحافة وتصاعد النغمة التعبوية تحت غطاء وجود التآمر الخارجي.

حياة الأمم والشعوب لا تخلو من الأحداث المفصلية التي سيكون لها امتداد في مسيرتها المستقبلية وتمثلات في صيرورتها الثقافية. ومن المعلوم أنّ الرواية أكثر من أيّ جنس أدبي آخر تتفاعل مع حيثيات تلك اللحظات الفاصلة وتطوع أبعادها الدرامية والإشكالية في السبيكة السردية.

وتمكن الإشارة في هذا الصدد إلى روايات الكاتب التشيلي أنطونيو سكاراميتا وانهماكه بما تهاوى إليه بلده من العسكرتارية بعد انقلاب على سيلفادور إليندي هذا الحدث أصبح لازمة لأعماله الإبداعية كذلك بالنسبة إلى مواطنته إيزابيل الليندي تدير صاحبة "نساء روحي" عدستها في رواية "سفينة نيرودا" نحو أفول التجربة الاشتراكية في أرض الزلازل.

كما تحول غزو النازية الألمانية لباريس إلى ثيمة في روايات باتريك موديانو، هذا المنحى تجده في الروايات الجزائرية إذ الثورة هي الثيمة الجدلية التي يعود إليها الروائيون بغض النظر عن الاختلاف الجيلي والخلفية العقائدية.

يتكئ سعيد خطيبي على شخصية عزوز خالدي الذي كان يكنى بـ"كردادة" في زمن حرب التحرير. يسرد عزوز بالضمير الأول ذكرياته في القرية حيث تعلم هناك الكثير وتوقع بأنّه يمضي العمر في سقي الأشجار وتلقيح النخيل قبل أن تهجر أسرته إلى بوسعادة تاركة الأراضي لرحمة الجفاف والحر.

ولا تنتظر أفراد الأسرة في المدينة سوى حياة الهامش. وكان مكان الإقامة مرآبا رطبا تعشش فيه الحشرات. توقفت الحياة الدراسية لعزوز في الصف الخامس الابتدائي وما يكون له دور في مصيره هو معرفته بودو. يشارك الاثنان في جيش الحلفاء ضد المحور في إيطاليا ومن ثمّ يفتح بودو طريقا لصديقه للانضمام لجنة الثورة، مؤكدا بأنّ هزيمة الفرنسيين وتكرار ملحمة ديان بيان الفيتنامية في الجزائر ليس مستحيلا.

لكن ما يصعّب موقف عزوز هو تكليفه بتفجير مقهى شقيقه ورفضه لهذه المهمة يثير الشكوك حوله، تلاحقه تهمة الوشاية والكشف عن هوية شهلا البرق، ويسجن على إثر ذلك ويعذبه رفاق الدرب بعد الانتصار. والأسوأ من ذلك هو وصمة الحركي التي تقيده في حظيرة المنبوذين.

لا تنقطع الشخصيات التي تدخل إلى مسرح الرواية عن تلك المرحلة التاريخية. كان التعارف بين ياقوت وعزوز في مقهى "روز" متزامنا مع اشتعال معركة الجزائر. كما أنّ لمخوب الأعور والد مخلوف تومي طالته التهمة بالتعاون مع الفرنسيين وقضى أياما مريرة في السجن، والمشترك بين هذه الشخصيات أنها تنتمي إلى قاع المجتمع بمن فيهم المحقق إدريس بادة الذي كانت أمه صديقة لياقوت.

> الرواية تنوع في تشكيلة الوقائع سواء ما يكون خارج زمن السرد أو ما ينشأ تبعا لتوالي الوحدات السردية

لا يحاكم سعيد خطيبي في روايته الثورة بقدر ما يحاول لفت النظر إلى التأمل في السرديات الرسمية التي تغض الطرف عن تفاصيل كاشفة لخيبات ترافق جميع الثورات لكن يمكن تدارك آثارها الثقيلة حين يكون النقاش قائما عن المناطق المظلمة قبل أن تكون مفرخا للمزيد من الأخطاء والخيبات. أراد خطيبي من خلال ما قدمه الإبانة عن إمكانية وجود رواية مضادة إلى جانب روايات سائدة الأمر الذي ترمز إليه شخصية تومي مخلود وميلود.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

هولندا تكتب ملحمتها الجغرافية بين البحر والزهور

بلد يساوي عدد الدراجات الهوائية فيه عدد سكانه

قليلة هي المدن والبلدان التي تولي تراثها الحضاري الاهتمام الكبير حكومة وشعبا، وتحافظ عليه بعناية كبيرة، في وعي بأهمية التراث العمراني والثقافي والتاريخي كقوة ناعمة، وهو ما حققته هولندا والهولنديون.

عبدالكريم البليخ
صحافي سوري

بدت لي أمستردام، حين لاحت من نافذة الطائرة، كأنها صفحة من كتاب سماوي، جنة خضراء تشقّها المياه في هدوء، تتلألأ تحت ضوء النهار المتردد. ومع هبوط الطائرة، تبلورت الصورة أكثر: أبنية بقبّات حمراء تنتشر كفسيفساء حيّة، تحيط بها أنهار وجداول لا يفارقها البصر، وكأن الماء هنا لا يجري فقط في الأرض، بل في الروح أيضا.

في المطار، الذي بدا كمدينة قائمة بذاتها، بانت الحداثة في أبهى تجلياتها: محالّ متراصة تفيض بالنظام، وأشدّ ما يجذب العين تلك الواجهات الزجاجية التي تتلألأ خلفها مجوهرات الألماس، وكأنها تنطق بسرّ هذا البلد الذي يخبئ تحت هدوئه شغفا بالجمال والندرة.

> هولندا من مطاراتها إلى قنواتها وجسورها، تمشي فيها وكأنك في حلم حميم يستمر معك حتى بعد مغادرتها

وفي الطريق إلى قلب المدينة، شدّني سلوك السائقين: صبرا وانضباطا عجيبا أمام إشارات المرور واحتراما دقيقا لقواعد السير. كان المشهد يحمل ما هو أعمق من القانون: إنّه احترام متبادل بين الإنسان والمدينة، بين الذات والمجتمع. بدا لي كل شيء وكأننا في قرية هادئة عملاقة؛ مراع خضراء ترعى فيها الأبقار، وفي الأفق البعيد عمارات زجاجية تشق السماء، لكن سرعان ما تختفي كلما اقتربنا من نبض المدينة، كأنما تُفسح المجال لذاكرة المكان.

وعندما أشرقت شمس الصباح، بدت أمستردام في كامل زينتها، مدينة تطفو على الماء وتنعكس فيها الحياة. الأشجار ترسل اخضرارها فوق القنوات، والأسقف الحمراء والزجاج اللامع يعكس تنوّعا بصريا باذخا، حتى إن المنازل بدت وكأنها لوحات نسجت بخيوط الضوء.

حوار مع البحر

وأنا أخطو بين أزقة المدينة القديمة، يرافقني صوت الترام وتهادي المراكب، شعرت أنني أعود قرونا إلى الوراء. كلّ ما حولي ينتمي إلى عصر آخر، حتى إنني تخيّلت نفسي جزءا من مشهد سينمائي ضخم، بُنيت ديكوراته بعناية لإعادة تمثيل الحياة كما كانت في القرن الثامن عشر. المباني شامخة كما خُلقت، وبيوت البحارة وقصور التجار تروي فصولا من التاريخ الصامت، والشوارع والمربعات السكنية ما زالت تحتفظ بمذاق الماضي. حتى ما يُبنى اليوم لا يُسمح له بأن يشذّ عن الطراز القديم، وكأن المدينة ترفض أن تُفرّط في ذاكرتها.

وليس عجبا أن تضم أمستردام ما يزيد عن سبعة آلاف مسكن مصنّف كتراث أثري، ترعاه الحكومة وتشاركه السكان حبّا وحماية. بعضهم يعيش في مراكب راسية، جعلوا منها بيوتا ومحالّ، في علاقة حميمية مع الماء.

هولندا، الواقعة في أقصى شمال غرب أوروبا، تتكوّن من اثنتي عشرة مقاطعة، تمتد على مساحة تزيد عن 41 ألف كيلومتر مربع. وأمستردام غالبا ما تكون الوجهة الأولى للعرب والسياح، الذين يقصدونها لا بحثا عن جمال الطبيعة فحسب، بل لما تمنحه من سكينة ممتزجة بالحيوية. قنواتها الثلاث، التي ترسم شكل حدوة الحصان، هي شرايين المدينة النابضة، وحولها تنبض الحياة في منطقة "جوردان" النابضة بالمطاعم، والمحال، والعروض. وعلى الجانب الآخر، حديقة "فوندل بارك" تقدم حفلات موسيقية في الهواء الطلق، وكأنها تُغنّي للطبيعة ذاتها.

أما متاحفها ـ متحف فان جوخ، و"ريجسموسيوم"، و"ريكز" الملكي ـ فهي ليست مجرد معارض، بل مرايا تعكس روح الفن الهولندي، وعمق انشغاله باللون والضوء والمعنى.

في هذه المدينة، قد يتوقف بك مركب سياحي أمام متجر عائم، أو يلوّح لك طفل من فوق جسر، فتبادله التحية وكأنك ابن هذا المكان.

سُمّيت أمستردام بهذا الاسم نسبة إلى السد المقام على نهر "الأمستل" الذي يخترق المدينة، وهي قائمة على نحو تسعين جزيرة، ما جعلها تستحق لقب "بندقية الشمال".

وإذا أحصينا قنواتها، لطالعتنا أرقام تدهش: أكثر من ثمانين كيلومترا من الممرات المائية، يعبرها ما يزيد عن ألف جسر. وقد شكل هذا الامتداد المائي تحديا عمرانيا، فكان لا بد من التحدي. ومن هنا وُلد الإبداع الهولندي: تجفيف البحيرات، إقامة السواتر، وردم الأراضي، وتحويل الماء إلى أرض، فالمساحة هنا ليست معطى بل مشروع مقاومة وصناعة.

ويكفي أن نعلم أن في الكيلومتر المربع الواحد يعيش نحو ألف نسمة، لتتجلى أمامنا صورة الكثافة السكانية الأكثر ارتفاعا في العالم، والصراع الأزلي بين الإنسان والطبيعة، بين البحر والإرادة.

منذ قرون، وهولندا تخوض حربا غير معلنة، لكنها أشرس من أي صراع تقليدي. إنها حرب وجود مع البحر، ذاك العدو الأبدي الذي لا ينسى، ولا يكلّ. فأرضها المنخفضة تغوص أربعة أمتار تحت سطحه، ولهذا سمّيت "الأراضي الواطئة"، وكأنها خُلقت لتظل على شفا الغرق. البحر، في نظر الهولنديين، ليس مجرد محيط هائج بل خصم متربّص، يذكرهم دائما بأن أرضهم كانت يوما ملكا له، ولا يزال يطمع في استعادتها.

غير أن هذه البلاد، التي اعتادت على الحياة على الحافة، لم ترضخ لسطوة الماء، بل وقفت في وجهه بعناد متوارث، وشيدت السدود والخزّانات كحواجز بين الحياة والخراب. لم تكن تلك الجدران مجرد مبان خرسانية، بل ترجمة فعلية لإرادة البقاء، ورسالة صارخة بأن الإنسان قادر على ترويض قوى الطبيعة إن امتلك العزيمة.

وقد جاء فيضان عام 1953 ليذكّرهم بقسوة البحر وغدره، إذ خلّف وراءه دمارا بلغت خسائره ما يفوق مئتي مليون جنيه إسترليني. وتحت وطأة هذا المشهد الكارثي، ولدت فكرة "مشروع الدلتا"، الذي اكتمل عام 1980، كأنّما أعلن الهولنديون فيه هدنةً مشروطة مع البحر، لا تنهي الحرب، لكنها تُبطئ زحفها.

ولم يكن البحر، رغم قسوته، مجرد غول يهدّد الوجود، بل إنّ الهولنديين، بطريقتهم الخاصة، تعلّموا كيف يحوّلونه إلى حليف. ففي عام 1572، حوّل "شحاذو البحر" مياهه إلى سلاح حرّر مدينة "بويل وفلشنج" من أيدي الإسبَان، لتتفجر بعدها شرارة الثورة التي أفضت إلى استقلال المقاطعات السبع، نواة ما يُعرف اليوم بهولندا. ولم تكن تلك المرة الوحيدة، ففي عام 1574 أغرق الثوار أراضيهم ليصدّوا حصار "ليدن"، وكأنّ البحر، في لحظة ما، قرّر الوقوف إلى جانبهم.

المدينة ترفض أن تفرط في ذاكرتها

تستحق لقب «بندقية الشمال»

صراع ينبت حياة

لقد علّمتهم معركتهم مع البحر كيف يبنون مجدهم من قلب التحديات، فصارت هولندا اليوم بلدا لا يملك الكثير من الموارد الطبيعية، لكنه صنع من القليل معجزة. يُعدّ بحر الشمال أحد أكبر النوافذ التي تُدخل الحياة إلى البلاد؛ فهو الممر الذي تدخل منه المواد الأولية التي تشكّل 38 في المئة من الناتج القومي، ويُعاد تصديرها بعد أن تمرّ بين أيدي الصناع المهرة.

أما الثروات الطبيعية القليلة التي تحتضنها البلاد، فقد استُثمرت بكفاءة استثنائية: 97 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا، تكفي لتدفئة نصف أوروبا، ونحو مليون ونصف طن من النفط، إلى جانب أكبر مصافيه في القارة. لا يُذكر كل هذا إلا ليُدرك المرء أن ندرة الموارد ليست قدرا إذا تسلّحت الشعوب بالإرادة.

والحديث عن الصناعات لا يكتمل دون المرور على صقل الماس، تلك الحرفة التي تحوّلت في هولندا إلى فنّ راق، تُصقل فيه الأحجار الخام القادمة من جنوب أفريقيا لتتحوّل إلى قطع تخطف الأبصار وتُصدَّر للعالم ككنوز نادرة.

حتى الصناعات اليدوية التي تمسّ وجدان الشعب، كصناعة الأحذية الخشبية، ما زالت تقاوم عصر الآلة، وتنتج سنويا أكثر من ثلاثة ملايين زوج، وكأنّها تصرّ على التذكير بالهوية وسط عالم يتغير.

ومن بين ما يثير الدهشة، أن يبلغ عدد الدراجات الهوائية ما يساوي عدد السكان ـ نحو 17 مليونا ـ ما يجعل من التنقل اليومي مشهدا ساحرا من الانسجام مع الطبيعة. عجلات تدور ببطء وسكينة، كأنها تسير على إيقاع نبض الحياة الهولندية.

ولم يكن البحر وحده خصمهم، بل الطبيعة بأسرها، إذ إن البلاد تفتقر إلى المناجم والجبال، لكنهم طوّعوا الأرض بزراعتها ورفدوها بالعلم والتقنية، فغدت هولندا "أكبر مزرعة ألبان في العالم"، تنتج 170 نوعا من الجبن، أشهرها "الفلمنك" و"الجروييرا"، وتفيض خيراتها عن حاجتها، كما فعلت منذ القرن الثالث عشر.

لا يمكن أن تسير في شوارع هولندا دون أن تفتنك الأزهار المعلقة على النوافذ، وكأنّ كل بيت يُعلن عن احتفاله بالحياة. هذه الزهور، التي يتعامل معها الهولندي كرفيقة يومية، ليست للزينة فحسب، بل هي تجارة مزدهرة تدرّ ما يقرب من 125 مليون جنيه إسترليني سنويا. وتُعدّ هولندا أكبر مصدّر للزهور في العالم، ويكفي ذكر "كوكن هوف"، أكبر حديقة للورد على وجه الأرض، والتي تنتج وحدها 32 نوعا من التوليب.

وتبقى طواحين الهواء، رغم أن الزمن تجاوزها، رمزا من رموز الكفاح والعزيمة، لا تزال الحكومة تصون ما تبقّى منها باعتبارها جزءًا من الذاكرة الجماعية.

كانت خطوتي التالية صوب مدينة "لاهاي" الهادئة، تلك التي تشعر حين تطأ أرضها وكأنك قد دخلت عالما يحكمه وقار البروتوكولات وسكون المهابة. فهذه المدينة، التي تُعدّ ثاني مدن هولندا مكانةً، لا تمنح زائرها شعور التجوال فحسب، بل تلقنه درسا في ما تعنيه الدولة الحديثة من هيبة ونظام. إنها مدينة السياسة والقانون، إذ تضمّ البرلمان والمحكمة والمباني الإدارية والسفارات، وكأنها تجسيد مادي للعقل المؤسسي. وقد شُيّدت على أنقاض كوخ صياد بسيط، ولذلك كان اسمها الأول "إس جرافنهاج" أي "كوخ الكونت"، في مفارقة رمزية تُلخص تحوّلات الإنسان من البساطة إلى التعقيد، ومن البدائية إلى الحُكم.

> التنقل اليومي مشهد ساحر من الانسجام مع الطبيعة، عجلات تدور ببطء وسكينة، كأنها تسير على إيقاع خاص

حنين لا يغادر

في قلب هذا المجتمع الأوروبي المتحضّر، يعيش أكثر من نصف مليون مسلم من جنسيات شتّى: من المغرب وتونس، إلى إندونيسيا وماليزيا، ومن تركيا وسوريا والعراق، إلى جزر الأنتيل، التي كانت يوما مستعمرة هولندية في البحر الكاريبي. هذا التنوع الثقافي والديني لا يُشكّل عبئا على البلاد، بل يعكس مرآة العالم كما ينبغي أن تكون: فسيفساء من الانتماءات، متحدة تحت سقف الإنسانية. وفي جانب آخر من الرحلة وفي زاوية هادئة من مدينة لاهاي، وتحديدا في منطقة "شيفنينغن"، تقف مادورودام، لا بوصفها مجرد حديقة مصغّرة، بل كمرآة فنية تختصر ملامح هولندا وتعيد تشكيل ذاكرتها في قلب مصغّر نابض بالحياة.

هنا، في هذا الفضاء المتقن، تبدو المعالم الشهيرة والمدن التاريخية والمنشآت الكبرى وقد تقلّصت إلى نماذج دقيقة، صُنعت بنسبة ربع حجمها الحقيقي، وكأنها شهادات حية على حب الإنسان لأرضه، وعلى رغبته في اختزال الزمن والاحتفاظ بجماله بين كفيه.

منذ افتتاحها عام 1952، استقطبت الحديقة الملايين من الزوّار، ليس فقط لفرادة التصميم ودقّة المحاكاة، بل لما توحي به من ارتباط وجداني بين المكان والناس. فهنا، في هذا العالم المصغّر، تتشابك الدهشة بالدهشة، حيث يصبح الطفل ناظرا كالحالم، والكبير متأمّلا كمن يبحث في التفاصيل عن ماض مألوف.

ومادورودام، بقدر ما هي مشروع جمالي، فهي أيضا رسالة إنسانية، إذ تذهب عائداتها إلى جمعيات خيرية في أرجاء هولندا، لتصبح رمزا آخر للعطاء الخفي، الذي يُزرع من دون ضجيج، ويُزهر في صمت. وفي عام 2012، احتفلت الحديقة بعيدها الستين، لا كاحتفاء بالزمن فقط، بل كتجديد لعهد الجمال، ووفاء لفكرة وُلدت من الحنين، وامتدّت لتُصبح جزءا من ضمير البلاد.

قبل أن أودّع هذه البلاد، كان لا بد من أن أتوقف أمام متاحفها، لكني عجزت عن الإحاطة بها جميعا، إذ يبلغ عددها قرابة الأربعمئة متحف، تحمل بين جدرانها لوحات خالدة لفنانين هولنديين خلّدهم عصر النهضة الأوروبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أمثال رامبرانت، فيرمير، هالز، وفان خوخ. وفيها أيضا كنوز من الحضارات الإغريقية والرومانية، ومتاحف تروي تاريخ الماء والملاحة، وأخرى تحكي حكاية السكك الحديدية والنسيج والتكنولوجيا... وفي كل مدينة متحف يختزن في طيّاته ذاكرة الوطن وإنسانه، على رأسها المتحف الوطني ومتحف "رُبِك".

سكينة ممتزجة بالحيوية

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

«المعلم الذي وعد بالبحر» درس عظيم في قيمة المعلمين والتعليم

فيلم مؤثر يذكرنا بقيمة الأحلام وقوة الالتزام والقناعات

تناولت العديد من الأفلام الإسبانية وغيرها فترة الحكم الفاشي لإسبانيا والحرب الأهلية التي راح ضحيتها الكثير من المطالبين بالجمهورية والتحرر، ولكن أغلب هذه الأعمال تركز على الجوانب المؤلمة والعنيفة لتلك الأحداث، بينما يتجه فيلم "المعلم الذي وعد بالبحر" في فضح تلك الحقبة إلى زاوية أخرى أكثر عمقا وتأثيرا.

علي المسعود
كاتب عراقي

فيلم "المعلم الذي وعد بالبحر" مستوحى من أحداث حقيقية وقعت قبل أشهر على بدء الحرب الأهلية الإسبانية، ومبني على رواية فرانشيسك إسكريبانو (وهو صحافي وأستاذ جامعي ومنتج سينمائي وتلفزيوني).

«المعلم الذي وعد طلابه برؤية البحر» قصة كفاح المعلم الثوري واليساري لإنقاذ أطفال فقدوا الشغف ومتعة التعليم

الفيلم تكريم لمعلمي الجمهورية، يفتح الذاكرة التاريخية على فضائع الدكتاتورية الإسبانية في عهد الجنرال فرانكو (مرت 84 عاما ولا يزال هناك العديد من المقابر الجماعية التي لم يتم اكتشافها) حين تكتشف أريادنا (لايا كوستا) أن جدها كان يبحث عن رفات والده الذي اختفى في الحرب الأهلية.

الوعد لم يتحقق

سافرت أريادنا إلى بورغوس، حيث اكتشفوا مقبرة جماعية، وربما تجد أثرا لجثة جدها الذي قتل ودفن في واحدة من تلك المقابر بعد سقوط الجمهورية الإسبانية. أثناء إقامتها هناك، ستتعرف على قصة أنطونيو بينجيس (إنريك أوكير)، المعلم الثوري الشاب من تاراغونا، الذي كان قبل الحرب معلما لجدها. من خلال طريقة تربوية مبتكرة، عمل هذا المعلم بمنهجية قريبة من نفسية الطفل وبناء على اهتماماته والعمل على تطوير مواهب ومهارات الطلاب الصغار، وضع لهذا الهدف منهجية فرينيت موضع التنفيذ. عمل الطلبة الصغار دفاتر ملاحظاتهم الخاصة وقاموا بنشرها وتبادلوها مع المدارس الأخرى.

المعلم اليساري بدأ في تغيير حياة المدينة وحياة العائلات، ألهم المعلم أنتوني طلابه وجعلهم مبدعين وحالمين، وقد أعطى تلاميذه وعدا لاصطحابهم لرؤية البحر. في نهاية يوليو 1936، اختفى المعلم بعد أن اختطفه جنود الجنرال فرانكو، لكن ذكراه وشخصيته الفريدة وأعماله النبيلة بقيت خالدة في ذاكرة طلابه وعوائلهم. وفي أغسطس 2010، عند سفح القبر، سلط أحد جيران بانويلوس الضوء على شخصية المعلم الذي قتل في عام 1936 والقصة المؤثرة لصاحب الوعد الذي لم يتمكن من الوفاء به.

تتناوب أحداث الفيلم بين فترتين، واحدة بين عامي 1935 و1936، قبل الانقلاب الذي أفسح المجال للحرب الأهلية، والأخرى أقرب لعام 2010. تكتشف أريادنا أن جدها كان يبحث عن رفات والدها اليساري الذي اختفى في الحرب الأهلية. رجل عجوز يجلس أمام شفق حياته يلاحظ صورة لماضيه لا تعطيه شيئا سوى اليقين بموته، بينما تقرأ حفيدته بصوت عال بعض الكلمات التي كتبها منذ أكثر من ستة عقود بحبر مليء بالوهم والأمل، ومع ذلك، فإن الكلمات سرعان ما دفنت بسبب الثقل العنيف للصمت والنسيان. هذه هي الصورة التي تبقى في ذاكرتنا للمعلم الذي وعد بالبحر، وهي مقتبسة من رواية تحمل نفس الاسم لفرانشيسك إسكريبانو بعدسة المخرجة باتريشيا فونت.

يحكي الفيلم القصة الحقيقية لأنتوني بينيج، المدرس الثوري الذي ينتدب من قبل حكومة الجمهورية الثانية إلى بلدة في بورغوس من تاراغونا لتولي مسؤولية المدرسة بعد أن تمت إزالة الكاهن الذي يديرها، مشحونا بالطاقة والأفكار الجديدة، يطبق في فصوله الأساليب التعليمية الثورية آنذاك التي ابتكرتها سيليستين فرينت (التي تتمثل مبادئها الأساسية في حرية التعبير والحياة التعاونية والوفاء والتحرر من الروتين خلال العمل). يتوقف طلابه عن رؤية المدرسة كمركز احتجاز يحفظون فيه حتى يموتون من الملل ويبدأون في الاستمتاع بالتعليم.

الأفواه مفتوحة، تضيء الغرفة وتتألق عيون الأطفال بينما يسحب أنتوني الورق من المطبعة الصغيرة البسيطة. الطباعة هي عنصر أساسي في أصول التدريس الحديثة التي نشأت في فرنسا وأراد المعلم التقدمي نقلها إلى طلاب تلك القرية الصغيرة، مع الصحافة، ينتج الأطفال كتيبات خاصة بهم يسجلون فيها نتائج فضولهم حول الموضوعات التي يختارونها من خلال النصوص والرسومات في منتج تربوي إنساني.

على عكس ما كان سائدا في السابق من أصول التدريس "الأسود" القائم على الضرب والجبن، ينتقل التعليم مع المدرس الجديد إلى تطور مبهج يعزز شخصية الطفل في الفصل الدراسي، بناء على الرغبات والميول الفردية. من ناحية أخرى، يرى والد أحد الأولاد أن التقنيات المبتكرة للمعلم الجديد هي مجموعة من الإسراف الذي لا أساس له من الصحة. على الرغم من ذلك، يسود الواقع على الأحكام المسبقة وسرعان ما يكشف الأطفال عن أنفسهم كسيول إبداعية متعاطفة تدب الحياة في فصلهم الدراسي الجديد. يعدهم أنتوني بأنه، ما إن تنتهي الدورة، سيأخذهم لرؤية البحر. تم الانقضاض على هذا الوعد عندما قام فرانكو في يوليو 1936 بانقلاب ضد حكومة الجمهورية الثانية.

كفاح المعلم الثوري

يقول المثل الياباني "أفضل من ألف يوم من الدراسة الدؤوبة هو يوم مع معلم عظيم". لا تعيد مخرجة الفيلم باتريشيا فونت وكاتب السيناريو ألبرت فال اختراع نوع الدراما التاريخية في اقتباس رواية "المعلم الذي وعد بالبحر" لفرانشيسك إسكريبانو. لكن رسم الشخصية والتصميم المرئي يخلقان حساسية كبيرة وحب النغمات الهادئة في مشاهد المدرسة ومعلمها. ربما هذا هو السبب في أن السقوط بين وحشية الفاشيين والمثل الأعلى الإنساني للمعلم مؤثر للغاية، دون الانزلاق إلى الشفقة أو التورط في المسارات العاطفية. يتم تقديم صورة "المعلم الذي وعد بالبحر" لعيون المشاهد كشهادة تروي بطريقة شفافة جريمة دفنت في مقبرة جماعية. إنه قصة تنتقل بين حاضر مشوه وماض مكتوم ببقايا فاشية لا تزال تخنق أي إمكانية لمستقبل صحي. وهكذا يصبح الأستاذ الشاب نموذجا للمثل العليا لجمهورية ديمقراطية قامت بتحديث إسبانيا إلى حد تحويلها إلى نموذج تقدمي، على الرغم من المعارضة الدينية (الكنيسة) لتلك النخب التي تستفيد من خضوع الطبقات الشعبية.

بعد مقتل المعلم، ترك الوعد باصطحاب طلابه لرؤية البحر معلقا بين ثنايا الفراغ الذي لا يزال ينزف من ذاكرة وضمير بلد بأكمله. استخدام الخطين السرديين اللذين يتقدمان بالتوازي ويهمسان لبعضهما البعض تلك الأسرار التي ضاعت في أعماق الوعي، يمنع كل مشاعر الصور من التركيز في ذروة واحدة. تضيع شخصية لايا كوستا في محاولتها التي تبدو خفية ومحتوية، لكن من المستحيل ألا تكتم العاطفة المضيئة في مواجهة هذا التمرين للذاكرة الجماعية، والتذكير بتلك الرحلة إلى البحر التي تسمى المستقبل.

المعلم اليساري ضحى بنفسه جسدا وروحا من أجل توعية وتثقيف ومساعدة هؤلاء الأطفال الذين كانوا مثله ضحايا لمجتمع غير متكافئ وغير متسامح مبني على دماء ودموع المستغلين. ونجح في جعل الأطفال يقعون في حب متعة التعلم والمشاركة في الفصول الدراسية، اخترع أشياء أخرى كثيرة، قصصا تربوية شجع من خلالها إبداعهم، ونقل لهم حبه للأدب وشجعهم على الكتابة والرسم والعناية بحديقة المدرسة التي تم بناؤها معا.

لأكثر من 75 عاما، ظل عمل المعلم وشخصيته في ذاكرة طلابه وزملائه السابقين، بينما كانت عائلته ترغب في معرفة حقيقة مكان وجوده. في عام 2010، أثناء استخراج قبر من قتلى الحرب الأهلية في بورغوس، سيظهر شاهد على شخصية مدرس قتل في يوليو 1936 ودفن في تلك الجبال عند سفح القبر.

غطى أعمال استخراج الجثث المصور سيرجي برنال لإعادة بناء قصة المعلم من بانويلوس، لذا بدأ تحقيقا وأجرى مقابلات مع الأقارب والطلاب السابقين وقام بتجميع أرشيف موزع بين المجلات التعليمية في ذلك الوقت والصحف المحلية ومجموعات الأرشيف.

"المعلم الذي وعد طلابه برؤية البحر" قصة كفاح المعلم الثوري واليساري لإنقاذ بعض الأطفال الذين فقدوا الشغف ومتعة التعليم في بلدة صغيرة بسبب الجهل.

لقد أراد هذا المعلم الشريف والإنساني أن يخلق جيلا ثوريا متطلعا لمستقبل زاهر، وأن يكون طلابه الصغار أشخاصا مبدعين وذوي عقول خلاقة. عاملهم بمودة واحترام، وبالطبع لم يمارس الضرب مثلما كان يمارسه سلفه المعلم وكاهن القرية. كانت الجمهورية تعني نقل قيم جديدة، وبناء مدارس مختلطة، وبناء شخصية المعلم المحترمة، وفصل الأيديولوجيات الدينية عن التعليم، واعتمدت على المعلمين الثوريين المتنورين في خلق ثورة في التعليم وطرق التعليم، والمعلمون هم الذين يجب أن ينقلوا قيم الجمهورية إلى أهالي القرية.

كانت السياسة التعليمية للجمهورية الثانية تعني الدعم الرسمي لحركات التجديد التربوية في بداية القرن العشرين، ويجب أن تكون شخصية المعلم محترمة، تسعى إلى إشاعة الديمقراطية في الفصل الدراسي والمدرسة، حتى يتمكنوا من تحمل المسؤوليات في المستقبل. كان هذا المعلم اشتراكيا ونقابيا شابا، من مواليد مونت رويج ديل كامب، تاراغونا، عمل على اتباع نظريات المعلم الفرنسي سيليستين فرينت (رائد للعديد من الابتكارات التعليمية الحالية)، الذي عمل لمدة عامين كمدرس ريفي في بانويلوس دي بوريبا، بورغوس، المنطقة القضائية في بريفييسكا، وتم إطلاق النار عليه بسبب أفكاره الثورية وتأييده للجمهورية وبسبب مقالاته في صحيفة محلية.

مثل كثيرين آخرين، تم إطلاق النار عليه في الأيام التي أعقبت انقلاب عام 1936، وظلت قصته منسية تقريبا حتى عام 2010، عندما تم فتح قبر لا بيدراجا، في بورغوس، على الرغم من أن جثته لا تزال مفقودة.

في الخلاصة، فإن طبيعة الفيلم كقطعة أثرية سائدة تستلزم سلسلة من الاستنتاجات حول كيفية تغير التصور الاجتماعي، أو على الأقل التقدمي. مع الحرب الأهلية التي انتصر فيها الرجعيون، لا تزال لها تداعياتها إلى اليوم بعد أن تركت جروحا لم تلتئم، وهو أمر يلاحظ في الشخصيات المسنة التي كانت من تلاميذ بينجيس، ولكن أيضا بأفق سياسي لا يرتبط على الإطلاق بأولئك الذين أرادوا تغيير الأشياء. على الرغم من أن هذه بالفعل قضية مختلفة وأكثر تعقيدا.

لقد قام هذا المدرس التقدمي بإحداث ثورة في المناهج وطريقة التدريس، في مدرسة بانولوس دفع من جيبه مقابل شراء مطبعة ونشر إبداع الصغار وإصدار مجلة خاصة بإنتاجاتهم الأدبية. بالإضافة إلى مواد من طريقة برينيت التقنية في برشلونة. في الفيلم، تم ذكر هذا النظام التعليمي المبتكر، بدون لهجة خطابية، بدلا من ذلك لدينا بعض ضربات الفرشاة لممارسته في البحث عن التعاون بين الطلاب والسعي للحصول على حرية التعبير عن أنفسهم من خلال منشوراتهم الخاصة. لقد ارتبطوا بمدارس أخرى ذات أساليب مماثلة، حتى من بلدان أخرى، وهو أمر أدى إلى التعاون والتضامن وزيادة المعرفة وتحسين فهم القراءة.

قام المعلم بينجيس بالفعل بعمل رائع في المدرسة بطباعة ثلاثة أعداد من مجلة "الإيماءات"، مع نصوص كتبت من قبل الأطفال. كما صنعوا ما يسمى بدفتر الحياة، وهو نوع من اليوميات التي كتب فيها جميع الطلاب. تتويجا لهذا البحث عن حرية التعبير، كانت هناك أخيرا المواد المطبوعة. أقام المعلم علاقة وثيقة مع الأطفال، حتى خارج ساعات الدوام المدرسي، ووضع حدا للقواعد وفرض العقوبات، ونفى كل التأثير الديني من المدرسة. كان بإمكان المعلم أن يختار منصبا أفضل للعام الدراسي 1935 – 1936، لكنه قرر البقاء في قرية بانويلوس، مدركا بالتأكيد للضوء الذي كان يخلقه في المدينة كجزء من الضوء الذي كان ينوي إعطاءه للبشرية جمعاء.

كانت الضغوط على المعلم هائلة، وهو ما ينعكس في الفيلم، يمكنك أن ترى مقاومة بعض الآباء لحضور أطفالهم في المدرسة، لأنهم أرادوا إشراكهم في الأعمال المنزلية والأعمال الميدانية، حتى إن المعلم، وهو رجل حيوي، تجاوز المدرسة في بانويلوس وأنشأ أيضا ما يسمى بأكاديمية الشباب، والتي شجعت على النقاش حول القضايا الحالية، بما في ذلك الدين، تم تنظيم الرقصات أيضا. كل هذا، إلى جانب آرائه السياسية، أدى إلى العديد من الإدانات وأكسبه عداوة القوى الرجعية ورجال الكنيسة. في الفيلم، يمكنك رؤية رئيس بلدية خجول، تعاون آخيرا مع الفاشيين بأمان بدافع الخوف، وكاهن واستبدادي.

بين الماضي والحاضر

في التاسع عشر من يوليو 1936، ألقي القبض على المعلم أنطونيو بينجيس في كاسا ديل بوبيلو، وعندما رفض التنازل عن الجمهورية تعرض للضرب بأعقاب البنادق. كما رأينا في الفيلم، تم اصطحابه مصابا بجروح بالغة ونصف عار في سيارة على مرأى ومسمع من المدينة بأكملها، ثم أطلق عليه النار ودفن في مكان مجهول.

كان التحذير واضحا لأولئك الذين أرادوا تغيير الأشياء. يصل تأثير هذا المعلم والمودة التي أثارها في طلابه إلى يومنا هذا. في عام 2013، أنشأت بلدة بانويوس "جمعية مدارس بينجيس"، التي تلتقط إرثه من خلال الترويج لمدرسة مفتوحة ومجانية متواضعة. دعونا نأمل أن يلقي إرث هذا المعلم، مثل إرث كثيرين آخرين، والعديد من التيارات التربوية ذات التطلعات التحررية، الضوء على الوضع الراهن الرمادي جدا أيضا في مجال التعليم.

السيناريو الذي كتبه ألبرت فال، متين ومنظم جيدا. تتكشف القصة بشكل متماسك، مما يحافظ على اهتمام المشاهد طوال الفيلم. الحوارات واقعية وعاطفية، وتعكس بدقة صعوبات وآمال الشخصيات. هناك لحظات من الفكاهة الخفية تخفف التوتر وتزيد من إضفاء الطابع الإنساني على الأبطال.

ينقل الفيلم رسالة قوية حول أهمية التعليم والتأثير الذي يمكن أن يحدثه فرد واحد على مجتمعه. موضوعات مثل المثابرة والأمل ومحاربة الشدائد موجودة بشكل بارز. يتردد صدى "المعلم الذي وعد بالبحر" بعمق، ويذكرنا بقيمة الأحلام وقوة الالتزام والقناعات. فيلم مؤثر وجيد التنفيذ يتميز بأدائه وتوجيهه ورسالته الملهمة. إنه عمل لا يسلي فحسب، بل يدعو أيضا إلى التفكير في دور التعليم والأمل في حياتنا. يفعل كل هذا بدقة وذكاء للتعامل مع واحدة من أكثر الفترات حزنا في تاريخ إسبانيا، ودون التوقف عن إدانة الأيديولوجيا الفاشية التي فرضت بعد الحرب الأهلية الإسبانية.

على الرغم من أن أغلب أحداثه تقع في الغالب في زمن مضى، إلا أن الفيلم يروي أيضا القصة الحالية لامرأة تبحث عن رفات جدها الأكبر في مقبرة جماعية تم اكتشافها حديثا في بورغوس. الممثلة لايا كوستا تستمر في إظهار سبب كونها واحدة من أفضل الممثلات في السينما الأسبانية، سواء في توازنها المثالي بين الاحتواء والانفجار أو لاختيارها الدقيق للمشاريع المثيرة للاهتمام والصغيرة والروحية.

يتشابك الفيلم بين الماضي والحاضر من خلال حبكتين تبنيان قصة عن الذاكرة وأهمية عدم ترك تاريخنا الحديث يقع في غياهب النسيان. تسلط الحبكة السرية الضوء على نضال العديد من الأشخاص الذين ما زالوا يبحثون عن أقاربهم المدفونين دون الكشف عن هويتهم في مقابر جماعية بعد الحرب الأهلية، في حين أن قصة نضال المعلم أنطونيو بينجيس إشادة بالمعلمين الشجعان ودورهم في تربية الجيل الجديد.

قصة حقيقية لمدرس ثوري

ثورة لم تكتمل

البحث في الماضي لمداواة الجروح

الفيلم سينما لا تسعى إلى التسلية فحسب، بل رسالة مؤثرة تدعو إلى التفكير في دور التعليم والأمل في حياتنا

مخاوف من تآكل مجانية التعليم في مصر

مشروع قانون جديد يفرض رسوما على الطلاب والراسبين

تواجه الحكومة المصرية انتقادات حادة بسبب تعديل قانون التعليم الذي يُفسَّر كتقليص تدريجي لمجانية التعليم الدستورية، ويشمل المشروع فرض رسوم على الراسبين والخدمات الاختيارية، ما أثار مخاوف من حرمان الفقراء من التعليم وزيادة الأمية والتسرب، ورغم نفي الحكومة المساس بمجانية التعليم، يرى البعض أن الأعباء ستنتقل إلى الأسر الفقيرة، مهددة الأمن الاجتماعي.

أحمد حافظ
كاتب مصري

التعليم للجميع

القاهرة - عمقت الحكومة المصرية مخاوف البسطاء من تآكل مجانية التعليم المنصوص عليها في الدستور، والمطبقة منذ عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، فهي لم تلغ بالمعنى الحرفي، لكن من المخطط أن يتم تخفيضها بنسب متفاوتة، وقرارات تُبعد الحكومة عن مقاضاتها أمام القضاء بأنها خرقت نصوص الدستور.

يرتبط الجدل المحتدم في مصر حول مجانية التعليم بمشروع قانون تقدمت به الحكومة إلى مجلس النواب لإجراء تعديلات على قانون التعليم المطبق منذ 44 عاما، وتضمن نصوصا تتيح للحكومة فرض رسوم مُبالغ فيها على الطلاب الملتحقين بنظام التعليم، ورسوم أخرى مقابل تحسين المجموع وثالثة بسبب الرسوب.

> الحكومة بدأت بالتخلص منها في المرحلة الجامعية عندما فرضت رسوما بآلاف الجنيهات على الطالب الذي يرسب في الجامعة

ما عمّق مخاوف الشارع المصري من تضمين قانون التعليم الجديد لرسوم تعليمية مبالغ فيها أن الحكومة طرحت من قبل فكرة إعادة النظر في مجانية التعليم بحجة أنها ليست موجودة عمليا، في حين تخصص الدولة أرقاما ضخمة ولا تجني ثمارها، بينما تنفق الأسر مبالغ ضخمة سنويا على الدروس الخصوصية.

وأصدرت الحكومة بيانات متعاقبة، أكدت فيها على لسان وزير التعليم محمد عبداللطيف ووزير الشؤون النيابية والسياسية محمود فوزي، أن مجانية التعليم حق يكفله الدستور والقانون ولا يقبل النقاش أو التفاوض، والمبالغ المالية التي سيتم النص عليها في القانون الجديد ستكون مقابل "خدمة اختيارية".

ملف مثير سياسيا

ما يجعل النبش في ملف مجانية التعليم هدفا سهلا لتيارات معارضة أنه أحد أكثر الملفات إثارة للمنغصات السياسية، ويكفي أن قطاع التعليم قبل الجامعي يضم 26 مليون طالب، قرابة 25 في المئة من التركيبة السكانية في مصر، وأي مغامرة حكومية غير محسوبة يتم توجيه اللوم الشعبي فيها للسلطة وحدها لأنها ارتضت بذلك.

ورغم النفي الحكومي للمساس بمجانية التعليم، لكن ذلك لم يكن كافيا لغلق الملف ونسيان الأمر على وقع المستجدات اليومية للتشريع الجديد، فما زال المسؤولون عن المنظومة التعليمية يدافعون ويبررون، ومعهم أعضاء في البرلمان، ردا على رموز فكرية وثقافية وتعليمية تحذر من تبعات المساس بالمجانية.

ومع كل حكومة تعاقبت على مصر منذ ثورة الثلاثين من يونيو 2013، كان يُطرح ملف مجانية التعليم على استحياء، لكن ظلت الجرأة الأكبر مرتبطة بما سبق أن طرحه المجلس الاستشاري للتعليم التابع لرئاسة الجمهورية عام 2016 بضرورة إعادة النظر في المجانية المطلقة للتعليم، وتعطّل المقترح نتيجة ظروف اقتصادية وسياسية.

ولأن المجانية فرض عين على الحكومة في سنوات التعليم قبل الجامعي، فهي بدأت بالتخلص منها في المرحلة الجامعية عندما فرضت رسوما بآلاف الجنيهات على الطالب الذي يرسب في الجامعة، تحت مبرر أن الدولة لن تتحمل تكلفة إخفاقه، وعلى أسرة الراسب أن تتكفل وحدها بفاتورة سنوات رسوبه.

وقتها بررت وزارة التعليم العالي المعنية بشؤون الجامعات تلك الخطوة، بأن استخدام الحق في مجانية التعليم يجب ألا يضر بالصالح العام، واستمرار تحمل الدولة تكاليف تعليم غير المجتهدين يحد من الفرص المتاحة للمتفوقين، وعلى الراسب أن يتحمل وحده عدم الاستفادة من الميزة المقدمة من الحكومة.

وعلى مستوى المدارس، فإن الإشكالية مرتبطة بضخامة عدد الطلاب في مختلف المراحل التعليمية، وهناك نص دستوري صريح بالمجانية، لكن الحكومة بدأت تنسحب تدريجيا من هذا الالتزام بفرض رسوم تصاعدية حسب كل صف وخدمة تعليمية مقدمة، وتوسعت في نظم تعليمية بمصروفات كبيرة.

كثافات طلابية

تختلف مبررات رفع الحكومة يديها تدريجيا على ضخ أموال طائلة في مجانية التعليم. فمثلا، وبالنظر إلى المدارس، فإن أغلبها متهالك ولا توجد مخصصات مالية تكفي لصيانتها وتطويرها، أو بناء أخرى تتسع للكثافات الطلابية في ظل زيادة أعداد المتقدمين سنويا، مع وصول الزيادة السكانية إلى أرقام فلكية.

تحتاج الحكومة إلى أكثر من مئة مليار جنيه (نحو 2 مليار دولار) لبناء مدارس جديدة للحد من الكثافة الطلابية التي وصلت في بعض القاعات إلى أكثر من مئة طالب، لكن الظروف الاقتصادية لا تسمح لها بتوفير المبلغ، وهناك قرابة 800 ألف معلم يطالبون برفع رواتبهم الهزيلة، وكان البديل الأكثر واقعية تحميل أولياء الأمور جزءا من هذه الفاتورة الباهظة.

يقول مسؤولون في قطاع التعليم إن الدولة لا تملك عصا سحرية لحل مشكلات المنظومة مع تطبيق المجانية، فالناس يبحثون عن تعليم بمعايير وجودة عالمية ويرفضون مجرد الاقتراب من المجانية ولو بزيادة المصروفات بقيمة متدنية، وفي نفس الوقت ينفقون مبالغ مالية طائلة على التعليم الموازي (الدروس الخصوصية).

وقطعت الدولة المصرية شوطا طويلا في تطبيق إستراتيجية تطوير التعليم (بدأت عام 2018)، لكنها اكتشفت أن الأمر بحاجة إلى أموال ضخمة لا تستطيع توفيرها من الموازنة العامة، ولا تريد أيضا التوسع في القروض الخارجية، ورأت ضرورة مشاركة الأسر في نسبة من التكلفة، طالما أن أبناءها المستفيد الأول من التطوير.

أكد الحقوقي التعليمي والأكاديمي بجامعة حلون في القاهرة وائل كامل أن المساس بمجانية التعليم خطر على الأمن الاجتماعي، ودونها سوف ترتفع معدلات الأمية إلى مستويات قياسية في ظل ظروف معيشية صعبة وغلاء كل السلع والخدمات، ولا يجب أن يتحول التعليم إلى سلعة تقدم لمن يمتلك القدرة على الشراء.

وأضاف لـ"العرب" أن أي تحريك في مصروفات التعليم في هذا التوقيت لن يتناسب وظروف أغلب الأسر التي تلحق أبناءها بالمدارس الحكومية، وقد تصل نسبة التسرب التعليمي إلى مرحلة غير مسبوقة، ما يضاعف معدلات الأمية ويتحول التعليم من هدف أساسي إلى ثانوي، ويترتب على ذلك حرمان بعض المجتهدين من فرصة التعلم، بينما كل عام يكون أبناء الفقراء في صدارة قائمة أوائل الثانوية العامة.

وساعدت سلوكيات بعض الأسر في أن تقرر الحكومة تقليص مجانية التعليم لتوجه المخصصات الفعلية إلى بند التطوير، فهناك شريحة من طلاب الجامعات تتعمد الرسوب سنويا في مادة أو اثنتين، والبعض يتجاوز سن الثلاثين عاما ولم يتخرج بعد في الجامعة، كي ينجو بنفسه من الالتحاق بالخدمة العسكرية الإلزامية.

ولأن المؤسسة العسكرية تشترط سنا معينة للتجنيد الإجباري هناك من يتعمد البقاء في الجامعة فترة طويلة، بينهم من يعتبر الجامعات رفاهية طالما أن سوق العمل يعج بالبطالة، وهذه الشريحة الطلابية تزاحم غيرها من الباحثين عن خدمة تعليمية لائقة دون تكدس بمن يتعمدون الرسوب ويحملون الدولة تكلفة تعليمهم.

مجانية للراسبين

بدأت الحكومة تفكر في تطبيق النهج الذي فعلته في الجامعة على طلاب المدارس، بأن وضعت في تعديلات قانون التعليم الجديد بندا خاصا يسمح لها بفرض رسوم تصل إلى ألفي جنيه (20 دولارا) على الطالب الذي يرسب ويعيد السنة الدراسية، باعتبار أن المجانية التي ينادي بها الشارع يجب أن توجه فقط إلى الطلبة المتفوقين.

غاب عن دوائر صناعة القرار التعليمي، وهي تخطط لرفع المجانية عن الراسبين، وجود شريحة كبيرة من الطلاب تلتحق بكليات لا تناسب طموحاتها، وغالبا ما ترسب، وتضطر إلى المحاولة مرة أخرى، فلا توجد بين بعض أرباب الأسر ثقافة اختيار الابن أو الابنة للتخصص التعليمي بحرية مطلقة، بذريعة أن عمره وخبرته لا يسمحان له بذلك.

ويضطر الطالب إلى الدراسة في كلية قد يبغضها أو مسار تعليمي بعينه في الثانوية العامة (البكالوريا) يصعب عليه أن يحقق فيه المجموع الذي يؤهله للتفوق، وهو مطالب بالنجاح لتجنب دفع غرامة الرسوب، وهي معادلة شديدة التعقيد تتسبب في ضغوط نفسية صعبة على الذين لم يكونوا أحرارا في تحديد مستقبلهم التعليمي.

يدافع أنصار تطبيق المجانية على المتفوقين فقط، بأنه من العدالة عدم مساواة الطالب المجتهد بضعيف المستوى أو الذي لا يكلف نفسه عناء النجاح من أول محاولة، كما أن التعليم في السنوات الأخيرة انفصل عن سوق العمل وطفت على السطح ظواهر سلبية على رأسها غياب حافز التعلم واقتصار الهدف على الشهادة كنوع من الوجاهة.

ترتبت على ذلك، زيادة نسب الرسوب ونقص الأماكن المتاحة للطلاب الصاعدين إلى الصف الأعلى في كل مرحلة تعليمية، وأصبحت هناك مقاعد لمخوزة للراسبين، ومن الضروري تدخل الحكومة لإلزام الراسب بدفع جزء من تكاليف دراسته، ليحرص على النجاح، وهذا تطبيق واقعي لفلسفة المجانية بمنطق عادل.

خطر التمييز في فرص التعليم

إذا كانت مبررات تلك الفئة في الدفاع عن تقليص مجانية التعليم منطقية نسبيا، لكن هناك شريحة من أولياء الأمور ترى العقوبة موجهة إليها وليس لأبنائها، باعتبارها من سيتحمل التكلفة بدفع مبالغ تفوق قدراتها المادية، في ظل ضيق السبل وتراجع الموارد المالية أمام أزمة اقتصادية طاحنة لم ينج منها أحد.

تظل الفئة الأكثر تضررا من تآكل المجانية في مصر، هي البسطاء الذين ينظرون إليها باعتبارها الحافز الوحيد تقريبا لدفع أبنائهم إلى استكمال تعليمهم، وبالنظر إلى ظروف هؤلاء فإن ولي الأمر الذي لديه ثلاثة أبناء في مراحل تعليمية مختلفة لن يتمكن من توفير الأموال لهم، وإن توافرت قد لا ينفقها على شهادة تعليمية غير مجدية.

المعضلة الأكثر تعقيدا ترتبط بأن الآباء البسطاء الذين سوف يتمسكون بتوفير متطلبات تعليم أبنائهم، قد يضطرون إلى التضحية بالفتيات ومنح الأفضلية لتعليم الذكور، استنادا إلى ميراث ثقافي رجعي بأن الأنثى مكانها المنزل لرعاية أسرتها أو زوجها وأولادها، بلا جدوى من إنفاق مبالغ مالية طائلة على تعليمها، وقد لا تعمل، ما يعمق أمية الإناث.

وحسب رأي الأكاديمي وائل كامل في حديثه لـ"العرب"، فإن تحميل أبناء البسطاء جزءا من فاتورة إصلاح التعليم يقود إلى خسارة البلاد قدرات وعقليات يصعب تعويضها إذا انتهى الأمر بتسربهم، فمن كانوا يجتهدون من أجل التفوق وهم مدفوعون بالمجانية سيجدوا صعوبات في الوصول إلى رأس الهرم الوظيفي والاجتماعي ليحل مكانهم الطلاب المقتدرون ماديا، والضعفاء تعليميا.

> وائل كامل:
> مجانية التعليم خطر على الأمن الاجتماعي وترفع معدلات الأمية

من المهم أن تستوعب الحكومة تلك المعادلة في ظل ارتفاع أعداد المتسربين في المدارس لظروف معيشية واقتصادية لاسيما بين شريحة الأطفال المنتمين إلى أسر بسيطة، بما ينعكس على زيادة الأمومة المبكرة (الزواج المبكر)، بينما تكافح الدولة لخفض معدلات الكثافة السكانية، ما يعني أن الحكومة بيدها المشكلة وحلها، فإذا قررت خفض المجانية لأسباب اقتصادية فإنها قد تصطدم بمعضلة أكثر تعقيدا بتسرب يقود لاحقا إلى انفجار سكاني ناتج عن تآكل المجانية وغياب الوعي مع زيادة الأمية.

إصلاح التعليم لا يلغي الفقراء

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

ممارسة الرياضة بانتظام تقلل الشعور بالاكتئاب والتوتر لدى الأطفال

الفائدة تتزايد عندما تتم ممارسة التدريبات الرياضية ما بين مرة واحدة وثلاث مرات أسبوعيا

تحسين المزاج يبدأ من ممارسة الرياضة

تسلط الكثير من الأبحاث الأكاديميّة الضوء على الرابط المهمّ بين الرياضة وتحسّن صحّة الأطفال النفسيّة والعقليّة، حيث تؤدّي الرياضة دورا حاسما في تعزيز صحّة الأطفال النفسيّة. ويشير خبراء اللياقة البدنية إلى أن ممارسة الرياضة بانتظام تقلل الشعور بالاكتئاب والتوتر لدى الأطفال، مؤكدين أن الفائدة تتزايد عندما تتم ممارسة التدريبات الرياضية ما بين مرة واحدة وثلاث مرات أسبوعيا.

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) - أجمعت الدراسات النفسية على أن نشاط الطفل البدني ليس مجرد وسيلة للحفاظ على لياقته الجسدية، بل يعد وسيلة مهمة لتحسين صحته النفسية؛ فعندما يمارس الطفل الأنشطة البدنية في حصص الرياضة المدرسية أو من خلال ممارستها تحت إشراف المدرب، يطلق الإندورفين، وهي مواد كيميائية في الدماغ تساعد على تحسين المزاج والشعور بالسعادة، بالإضافة إلى تحسين النوم وتقليل التوتر، وفوائد أخرى كثيرة، ما يعزز الصحة النفسية للطفل بجانب الفوائد الأكاديمية والاجتماعية كذلك، وكلها تمده بالثقة وتمنحه السعادة والبهجة.

وأظهرت دراسة علمية أن ممارسة التدريبات الرياضية بانتظام تعتبر من أفضل الوسائل لعلاج الأطفال الذين يعانون من اضطرابات الحالة المزاجية.

ووجد فريق بحثي مشترك من جامعتي جنوب أستراليا ومانشستر الإنجليزية أن الأطفال الذين يشاركون في برنامج تدريبات رياضية تتراجع لديهم أعراض الاكتئاب. واستندت الدراسة إلى نتائج 375 ورقة بحثية شملت أكثر من 38 ألف طفل تتراوح أعمارهم بين 5 و18 عاما.

وبحسب نتائج الدراسة التي أوردتها "مجلة الأكاديمية الأميركية لطب الأطفال والمراهقين" المتخصصة في الطب النفسي للأطفال، تتراجع مستويات القلق والتوتر لدى الأطفال الذين يمارسون ما يعرف باسم تمارين المقاومة العضلية مثل رفع الأثقال، كما أن أعراض الاكتئاب تتراجع لدى من يمارسون التمرينات الرياضية مثل الأيروبكس وتدريبات القوة.

وتتزايد الفائدة عندما تتم ممارسة التدريبات الرياضية ما بين مرة واحدة وثلاث مرات أسبوعيا.

ويقول الباحثون إن هذه النتائج تشير إلى أن الرياضة قد تساعد في تحسين الحالة المزاجية للأطفال دون الحاجة إلى أدوية مثل مضادات الاكتئاب. ويقول رئيس فريق الدراسة في تصريحات للموقع الإلكتروني "هيلث داي" المتخصص في الأبحاث الطبية "التدريبات الرياضية هي نشاط منخفض الكلفة، وتمثل إستراتيجية متاحة على نطاق واسع ويمكن أن تحدث فارقا حقيقيا في الحفاظ على الصحة العقلية للأطفال."

وتلعب الرياضة دورا محوريا في تحسين المزاج وتعزيز الصحة النفسية.

وفي ظل الضغوط الحياتية المتزايدة، أصبحت الأنشطة البدنية أداة فعّالة للتعامل مع القلق والاكتئاب، وتوفير بيئة ذهنية صحية. كما يمكن للرياضة أن تكون أحد الحلول الرئيسية للمشاكل النفسية التي يعاني منها العديد من الأشخاص.

وتعد الرياضة من أكثر الأنشطة التي تسهم في تحسين الحالة النفسية. وسواء كانت من خلال ممارسة الرياضات الفردية أو الجماعية، تعمل الرياضة على تحفيز الجسم على إفراز المواد الكيميائية المسؤولة عن تحسين المزاج مثل الإندورفين، ما يقلل من مشاعر القلق والاكتئاب.

ويؤكد خبراء اللياقة البدنية أن هناك عدة طرق يمكن أن تؤثر بها الرياضة على الصحة النفسية بشكل إيجابي، ذلك أن ممارسة الرياضة تساعد على تقليل مستويات التوتر في الجسم، ما يحسن الشعور بالراحة النفسية.

ومن خلال التمارين الرياضية يمكن للمرء تحسين لياقته البدنية، وهو ما يساهم في زيادة ثقته بنفسه. وتعتبر الرياضة وسيلة فعالة للتعامل مع مشاعر القلق والاكتئاب من خلال تحسين كيمياء الدماغ.

وتترك الأنشطة البدنية أثرا إيجابيا في شخصية الطفل، وتعود عليه بالكثير من الفوائد، خاصة أمام زحف الشاشات الإلكترونية التي يجلس أمامها عدة ساعات خاملا ومتكاسلا.

> النتائج تشير إلى أن الرياضة قد تساعد في تحسين الحالة المزاجية للأطفال دون الحاجة إلى أدوية مثل مضادات الاكتئاب

كما تساعد على إيصال الأكسجين والعناصر المغذية إلى أنسجة جسم الطفل، وتحفز الجهاز القلبي الوعائي على أداء وظائفه بكفاءة أكبر، ويصبح لدى الطفل المزيد من الطاقة لأداء المهام اليومية.

وتعمل الرياضة على تقوية عضلات جسم الطفل، وتعزيز مناعته ضد الأمراض المختلفة، وتدعم قدرته على التحمل، إلى جانب فوائدها النفسية والاجتماعية.

وعلى الرغم من أن جميع أنواع الرياضات مفيدة، إلا أن بعض الأنواع قد تكون أكثر فاعلية في تحسين الصحة النفسية، من بين هذه الأنواع اليوغا والتأمل.

وتعتبر اليوغا وسيلة رائعة لتهدئة العقل والجسم وتحسين التوازن النفسي.

كما تساعد الرياضة الجماعية مثل كرة القدم أو كرة السلة في بناء التواصل الاجتماعي وتحسين الحالة النفسية.

أما المشي والجري فهما من أسهل الأنشطة التي يمكن ممارستها في أي وقت، وتعتبر فعالة في تقليل التوتر والقلق.

وتسلّط الكثير من الأبحاث الأكاديميّة الضوء على الرابط المهمّ بين الرياضة وتحسّن صحّة الأطفال النفسيّة والعقليّة، حيث تؤدّي الرياضة دورًا حاسمًا في تعزيز صحّة الأطفال النفسيّة، وتقدّم الألعاب الرياضيّة مجموعة من الفوائد التي تؤثّر في صحّة الطفل تأثيرًا إيجابيًا.

ويقع على الوالدين عاتق تشجيع الأطفال على المشاركة في مجموعة متنوّعة من الأنشطة الرياضيّة والبدنيّة التي يجدونها ممتعة وجذّابة، وذلك بتوفير فرص متنوّعة للأطفال، ليكونوا نشيطين بدنيًا، سواء في أماكن منظّمة أو غير منظّمة. ويمكن للوالدين ومقدّمي رعاية الأطفال تعزيز صحّة الأطفال النفسيّة باختيار الألعاب الرياضيّة المناسبة.

وأي نشاط بدنيّ يجعل الأطفال يتحرّكون، يمكن أن تكون له آثار إيجابيّة في صحّتهم النفسيّة والعقليّة، حيث تساعد الأنشطة البدنيّة على إطلاق الإندورفين وتقليل هرمونات التوتّر. وبعد التعرّف إلى فوائد الرياضة ودور الألعاب الرياضيّة في تعزيز صحّة الأطفال النفسيّة، لا بُدّ للوالدين أو مقدّمي رعاية الأطفال اختيار النوع المناسب من الرياضات التي يمكن للأطفال ممارستها للحصول على أعلى إفادة منها.

ويجب على الوالدين السماح للطفل باستكشاف رياضات مختلفة وتجربتها للعثور على ما يستمتع به ويتفوّق فيه، إذ يمكن أن يساعده ذلك على تطوير شغفه بالرياضة مدى الحياة، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات الطفل. فيجب التأكّد من أنّ الرياضة مناسبة لقدراته الجسديّة وعمره، حيث يسهم ذلك في منع الإصابات أو الحدّ منها، والحفاظ على اهتمامه بالرياضة التي اختارها.

ويمكن أن توفّر الرياضات الجماعيّة، مثل كرة القدم وكرة السلّة والكرة الطائرة، فوائد اجتماعيّة، منها تحسين احترام الذات والتفاعل الاجتماعيّ الأفضل والشعور بالانتماء إلى الفريق، بينما توفّر الرياضات الفرديّة، مثل التنس أو السباحة أو الجمباز، شعورًا بالإنجاز الشخصيّ والثقة بالنفس، ولاسيّما للأطفال الذين يفضّلون الأنشطة الفرديّة.

تمرين شد العضلات يخفض ضغط الدم مثل الأدوية

لندن - يمكن خفض ضغط الدم بفاعلية عبر دمج تمارين متساوية القياس في الروتين الرياضي، حيث أثبتت دراسات حديثة أن ذلك قد يفوق التمارين الهوائية التقليدية في تحسين صحة القلب والأوعية الدموية.

ويعتبر ارتفاع ضغط الدم مشكلة صحية شائعة تؤثر على أكثر من 1.28 مليار شخص في العالم، ويزيد من مخاطر الإصابة بأمراض القلب والسكتات الدماغية إذا تُرك دون علاج.

وعادة ما يُنصح بممارسة التمارين الهوائية مثل الركض وركوب الدراجات الهوائية لمدة 150 دقيقة أسبوعيا للمساعدة في ضبط ضغط الدم، لكن إحدى الدراسات العلمية أظهرت أن التمارين متساوية القياس قد تكون أكثر فاعلية.

وتعتمد هذه التمارين على شد عضلات معينة في وضع ثابت دون حركة لفترات قصيرة تتراوح بين دقيقة ودقيقتين، مثل الاستناد على الحائط بوضعية القرفصاء المعروفة بـ"جلوس الحائط"، أو قبض اليد بقوة. وهذا الشد المستمر للعضلات يقلل مؤقتا من تدفق الدم إلى المنطقة المشدودة، وعندما تسترخي العضلات تتوسع الأوعية الدموية بشكل أكبر من المعتاد، وهو ما يحسن تدفق الدم ويخفض ضغطه لفترة طويلة بعد التمرين.

وأظهرت دراسة شاملة قامت بتحليل 270 تجربة عشوائية ضمت حوالي 16000 شخص بالغ، أن تمارين متساوية القياس خفضت ضغط الدم الانقباضي بمقدار 8.24 ملم زئبق والانبساطي بمقدار 4 ملم، وهو تأثير مشابه لنتائج بعض أدوية خفض ضغط الدم. وفي المقابل كان تأثير التمارين الهوائية أقل بنسبة تقارب نصف هذا المقدار.

وتتميز هذه التمارين أيضا بسهولة ممارستها ودمجها في الروتين اليومي، حيث أظهرت دراسة أخرى أن ممارسة 12 دقيقة من تمارين متساوية القياس 3 مرات أسبوعيا لمدة 12 أسبوعا كانت كافية لتحقيق نتائج إيجابية وملموسة في خفض ضغط الدم.

وبالرغم من أهمية التمارين الهوائية وتمارين المقاومة للحفاظ على صحة القلب وبناء العضلات، فإن إدخال تمارين متساوية القياس إلى جدول التمارين قد يساعد بشكل أكبر على التحكم في ضغط الدم، خاصة لمن يعانون من ارتفاعه أو لا يلاحظون تحسنا مع التمارين التقليدية.

> الشد المستمر للعضلات يقلل تدفق الدم، وعندما تسترخي العضلات تتوسع الأوعية الدموية ويتحسن تدفق الدم

لذلك يُنصح الأشخاص بممارسة تمارين مثل "جلوس الحائط" والبلانك، التي تعتمد على شد العضلات في وضع ثابت لفترات قصيرة، لتعزيز صحة الأوعية الدموية وخفض ضغط الدم بطريقة طبيعية وفعالة.

والبلانك من أكثر التمارين الشائعة أثناء ممارسة الرياضة، وخاصةً إذا كان الشخص يرغب في الحصول على عضلات بطن بارزة أو تقوية عضلة القلب.

وسُمي البلانك بالتمرين الكامل للجسم، ويعني إمساك الجسم بشكل مستقيم بعيدا عن الأرض، ويُشرك مجموعات عضلية متعددة في الوقت نفسه، وهو ما يجعله تمرينا فعالاً في تقوية صحة القلب.

ويعمل البلانك على تحسين وضعية الوقوف أو الجلوس، أي أن يبقى الظهر مستقيما. ويعود ذلك إلى استهداف هذا التمرين للظهر ووضعية ممارسته الموازية للأرض.

وعلى الرغم من أن الأمر قد لا يبدو كذلك، فإن تمرين البلانك طريقة رائعة لتمديد النصف السفلي من الجسم.

ويؤدي الدخول في وضع الثبات إلى إطالة أوتار الركبة وكذلك أقواس القدم، وهو ما يجعل البلانك يمثل قوة مزدوجة وتمرينا ممتدا.

تمرين البلانك مفيد لصحة القلب

متى يكون التمدد فعالا

بايرويت (ألمانيا) - يعد التمدد شكل تدريب سهل الاستخدام، وفق ما قاله البروفيسور الألماني يان فيلكه، مشيرا إلى أن في بعض الحالات يكون فعالا وفي حالات أخرى لا يكون مفيدا.

وبالتعاون مع فريق بحثي دولي، قام فيلكه من قسم علوم الحركة العصبية والحركية بجامعة بايرويت بألمانيا بوضع توصيات علمية سليمة للتمدد، تهدف إلى توفير إرشادات للمدربين والمعالجين والرياضيين.

ولتحسين المرونة على المدى القصير، ينصح فيلكه بممارسة تمارين التمدد بمعدل مجموعتين على الأقل، تتراوح مدة كل منهما من 5 إلى 30 ثانية.

ولمقاومة تيبس العضلات، تنبغي ممارسة التمدد الثابت لمدة أربع دقائق على الأقل، وبمعدل خمس مرات أسبوعيا.

كما تنبغي ممارسة التمدد الثابت لمدة 7 دقائق على الأقل في الحالات الحادة أو 15 دقيقة على المدى الطويل، لتقوية الجهاز القلبي الوعائي والأوعية الدموية.

وفي تطبيقات أخرى، لا يُحدث التمدد التأثيرات المنسوبة إليه، على سبيل المثال لا يمكن للتمدد تصحيح وضعية الجسم السيئة مثل الانحناء، وربما لا يمنع الإصابات بفعالية كما هو مُفترض.

وهناك بدائل بنفس الفعالية أو حتى أكثر فعالية، على سبيل المثال يمكن أيضا تحقيق مرونة أكبر من خلال تمارين تقوية العضلات عند ممارستها على كامل نطاق الحركة.

جدير بالذكر أن الورقة البحثية التي أجمع عليها 20 باحثا، نُشرت مؤخرا في مجلة "العلوم الرياضية والصحية" (جورنال أوف سبورت أند هيلث سينس).

ويساعد أداء تمارين التمدد بالشكل الصحيح على زيادة المرونة والحد من مخاطر الإصابة بأمراض الأنسجة الضامة، مثل السمحاق (الغشاء الخارجي لكل العظام)، إضافة إلى احتمالية التعرض لغيرها من العواقب السيئة.

وتمارين التمدد ضرورية للحفاظ على مرونة وقوة وصحة الساقين بشكل عام. سواء كان المتدرب عداءً شغوفا أو محاربا في عطلة نهاية الأسبوع أو شخصا يقضي ساعات طويلة في المكتب، فإن دمج روتين شامل للتمدد يمكن أن يخفف من الألم ويمنع الإصابات ويعزز أداءه البدني.

وتلعب تمارين التمدد دورا محوريا في الحفاظ على صحة وأداء الساقين.

يساعد التمدد المنتظم على إطالة العضلات والأوتار، مما يعزز نطاق الحركة ويقلل صلابة العضلات.

ويمكن أن يؤدي التمدد بعد التمرين إلى تقليل وجع العضلات ويساعد على التعافي بشكل أسرع.

كما يساعد التمدد على تقوية العضلات وتحسين مرونتها، مما يقلل من خطر التعرض للإجهاد والالتواءات.

ويساعد التمدد أيضا على زيادة تدفق الدم إلى العضلات، مما قد يساهم في إزالة النفايات الأيضية وتوفير العناصر الغذائية الحيوية.

ويمكن أن يؤدي تمديد عضلات الساقين إلى تحسين وضعية الفرد وتوازنه، وهو أمر ضروري لميكانيكا الجسم بشكل عام.

ويساعد دمج مجموعة متنوعة من تمارين التمدد في تحسين مرونة وقوة العضلات.

وغالبا ما تكون أوتار الركبة مشدودة، وخاصة لدى الأشخاص الذين يجلسون لفترات طويلة. ويمكن أن يؤدي شد أوتار الركبة إلى تخفيف الشد وتحسين المرونة.

كما أن تمدد العضلة الرباعية يعد أمرا بالغ الأهمية بالنسبة للعدائين والرياضيين، والعضلة رباعية الرؤوس هي العضلات الكبيرة الموجودة في مقدمة الفخذ، ويمكن الوقوف على ساق واحدة، ومسك القدم الأخرى للخلف.

ثم سحب القدم نحو عضلات الأرداف، مع الحفاظ على الركبتين متلاصقتين.

> التمدد بعد التمرين يمكن أن يؤدي إلى تقليل وجع العضلات فتصبح مرنة ويساعد على التعافي بشكل أسرع

يمكن الاستمرار لمدة من 20 إلى 30 ثانية ثم القيام بالتبديل إلى الجانب الآخر.

ويمكن لدمج مجموعة متنوعة من تمارين التمدد في الروتين اليومي للفرد أن يحسن بشكل كبير من مرونة وقوة وصحة ساقيه بشكل عام. سواء كان يهدف إلى تخفيف تشنج أوتار الركبة، أو تحسين أدائه في الجري، أو ببساطة الحفاظ على صحة الساق، فإن تمارين التمدد الموضحة في هذا الدليل تقدم نهجا شاملا لتحقيق أهدافه.

وينصح خبراء اللياقة البدنية بالقيام بالتمدد بانتظام، وأن يستمع المتدرب إلى جسده، وأن يستمتع بفوائد ساقيه الأقوى والأكثر مرونة.

تمرين يقاوم تيبس العضلات

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

طقوس حزن العراقيين في عاشوراء تراث سومري يتجاوز الانتماء الطائفي

البلدان والمناطق تتمايز بأساليب اللطم المرتبط بمراسم عاشوراء

يؤكد المؤرخون أن اللطم والندب والتفجع عادة قديمة في بلاد ما بين النهرين، وتميز حزن العراقيين في البكاء والنحيب وصولا إلى طقوس عاشوراء التي امتدت إلى أوساط اجتماعية وسياسية واسعة تقف ضد الظلم وتطالب بالعدالة.

لطم للتنفيس عن القهر

بغداد - يعتبر طقس "اللطم" الجزء الأهم من الموروث الشعبي بمجالس العزاء "الفواتح" عند الطائفة الشيعية خصوصا في العراق، وسرعان ما اقترن بطقوس شهر محرم، وانعكس بكل جوانبه ليحيي ذكرى "واقعة الطف"، غير أن طقوس الحزن التي لا يوجد مثلها إلا في العراق هي موروث ثقافي سومري.

ويتميز حزن العراقيين في مغالاتهم في البكاء والنحيب وما هو أكثر من ذلك وتؤكد نصوص التراث أن شعائر الحزن يمكن ملاحظتها في موت أنانا ونزولها إلى عالم الأموات من خلال نص سومري تتبين لنا إقامة المناحة في الخرائب وقرع الطبول في المعبد واللطم على العينين ولطم الوجه ولبس ثوب أشبه بثوب المتسولين وهذا يعني أن إظهار الحزن وعدم كبته في القلب كان يمثل شعيرة دينية واجتماعية عند السومريين العراقيين.

> رمزية عاشوراء تجاوزت دائرة الإيمان الديني أو الانتماء الطائفي، وامتدت إلى أوساط اجتماعية وسياسية تقف ضد الظلم

ويشير الكثير من المؤرخين إلى أن اللطم والندب والتفجع عادة قديمة في بلاد ما بين النهرين، تعود إلى حقبة عشتار، إلهة الحب لدى البابليين قبل أكثر من أربعة آلاف عام، غير أنها وسمت بطقوس عاشوراء حزنا لمقتل الإمام المعصوم الثالث لدى الشيعة الاثني عشرية، الحسين بن علي حفيد الرسول محمد، في العام 680 ميلادية في كربلاء على يد جيش الخليفة الأموي يزيد بن معاوية.

ويُعدّ مقتل الحسين وأنصاره وسبي أهله في "واقعة الطف" منعطفاً هاماً في تحديد المنحى الذي سارت عليه طقوس الطائفة الشيعية، الأمر الذي أسهم، إلى حد كبير في تشكيل هويتها. فقد مثّل مقتل الإمام الثالث عند الشيعة الاثني عشرية سنة 61 هجرية فاصلاً تاريخياً دأبوا على استحضاره سنوياً للتفكّر في دلالاته ومعانيه.

إلا أن رمزية الحدث وعِبَره تجاوزت دائرة الإيمان الديني أو الانتماء الطائفي، وامتدت إلى أوساط اجتماعية وسياسية واسعة تقف ضد الظلم وتطالب بالعدالة، مستنيرة بقول الحسين في تلك الواقعة "إنما خرجت لطلب الإصلاح."

وتبدأ طقوس هذه المناسبة في الأول من محرم لتبلغ ذروتها في العاشر منه، فلم تقتصر على المجتمع الشيعي في العراق بل يجري إحياؤها في بلدان إسلامية أخرى لهذه الطائفة وجود فيها، كما امتدت إلى بلدان المهجر أيضاً، وإن على نطاق ضيق.

ومشهد النساء وهن يتجمعن في المنزل الذي يشهد حالة وفاة "الفاتحة"، ويبدأ بحلقة اللطم التي تتكرر مرات كثيرة خلال اليوم، ويكون خاتمتها مع ختام مجلس العزاء في اليوم الثالث، وهو السياق الذي كان سابقا متبعا، قبل أن تتحول مجالس العزاء ليومين فقط مؤخرا، كان من أبرز جوانب "الفواتح الجنوبية"، حيث يسمع صوت اللطم وصراخ النسوة من خارج المنزل.

وتقام خلال الأيام العشرة الأولى من محرّم المجالس الحسينية وتسيّر المواكب لاستذكار الحدث والتعبير عن الحزن بالبكاء ولطم الصدور. وينتشر اللون الأسود تعبيراً عن الحزن ليشمل اللباس والرايات الحسينية.

وتعد تلك المجالس والمواكب، التي يرافقها تقديم الطعام لمن يحتاجه، من أهم الطقوس لدى الشيعة الذين يؤمنون بأن لمقتل الحسين دوراً في ترسيخ الدين وديمومة المعتقد، لما يملكه من شاهد على الثبات على المبدأ والمطالبة بالحق.

وفي بعض المناطق يتضمن إحياء الذكرى مسرحة الحدث، إذ تقدم عروض في الهواء الطلق تسمى "التشابيه" تروى خلالها أحداث واقعة كربلاء وتجسد شخوصها الرئيسية، بحضور أعداد غفيرة من الجمهور.

وبحسب الباحث الإسلامي الشيخ فيصل الكاظمي فإن "فقرة (اللطم) تحتل موقعاً لافتاً في مراسم إحياء عاشوراء وإحياء شهادة المعصومين عليهم السلام."

وأضاف في تصريحات لوكالة شفق نيوز المحلية، "تطورت ظاهرة (اللطم) في مراسم العزاء من جيل إلى آخر، وأصبحت لها أعراف خاصة وأنماط معينة، وزاد من تطوّرها تخصص البعض في إنشاد الشعر الرثائي بطرق وأساليب تراعي هذه الأنماط، فيما يتألق بعض (الرواديد) في زيادة وتيرة تتناغم مع نوبات اللطم."

وأشار إلى "تميز البلدان والمناطق بأسلوب معين من أساليب اللطم المرتبط بمراسم عاشوراء، فالشيعة الهنود لهم أسلوب عاطفي في نمط لطم متواصل وسريع، كما يتميز أهل البحرين بنمط خاص من اللطم ذي النوبات الكثيرة بحماس وإيقاع خاص، وثمة طرق واضحة بين مدينة وأخرى في العراق، فهناك لطم كربلائي وآخر نجفي وآخر جنوبي وهكذا."

وتعزز مسار اللطم وشمل الرجال والنساء على حد سواء، وأصبحت مجالس رجالية تعقد لهذا الغرض، لأن اللطم لم يعد مجرد إرث، بل شعيرة مهمة عند المسلمين الشيعة بعد مقتل الإمام الحسين سنة 61 للهجرة.

طقوس متوارثة

ويستند الشيعة إلى هذه الشعيرة وأهميتها عبر مصادر كثيرة ومنها زيارة الناحية المعتبرة عند الشيعة الواردة عن الإمام المهدي بن الحسن إلى أن عائلة الإمام الحسين هي أول من لطمت ساعة استشهاد الإمام.

ويطلق الشيخ الكاظمي تسمية "اللطم النعوي" على اللطم بمعنى ضرب الصدور وبرز كنمط من أنماط إبداء الحزن والتجاوب العاطفي مع أحداث كربلاء، وهو ما يمكن أن يسمى "باللطم الهادف" الذي أصبح أسلوباً من أساليب إحياء "واقعة الطف".

وفي مجالس العزاء النسائية "الفواتح" التي تقام في المنازل عند وفاة أيّ شخص، تتوسط امرأة، يكون عمرها بالعادة في الأربعينات وأكثر، تسمى "الملاية"، وهي المسؤولة عن إنشاد القصائد المبكية بصوت متهدج ومرتفع، وتكون قصائدها حسب المتوفى، شاب أو فتاة أو رجل ذو مكانة كبيرة وغيرها، وتتمتع بقدرة للتحكم بطبقات صوتها وإيقاع الإنشاد بطريقة مؤثرة جدا، تدفع حتى الرجال القريبين من المكان للبكاء.

وحلقة النسوة المغلقة التي لا يدخلها رجل، تأخذ منحنيات كثيرة، حيث تبدأ باللطم الخفيف والبكاء، وصولا إلى مرحلة اللطم السريع والقوي، ويصل مرحلة تمزيق الملابس.

ويلفت الباحث والأكاديمي رائد صالح إلى أن "ظاهرة اللطم الجماعي كشعيرة من شعائر الطف ظهرت في بغداد لأول مرة وسجل وقائعها المؤرخ ياقوت الحموي، في معجم الأدباء."

ويوضح صالح أن "الحموي سجل موقفاً لالتفاف الناس وتفاعلهم في أسواق بغداد مع قصيدة الناشئ، التي يقول فيها: بمثلِ مصابي فيكم ليس يُسمعُ بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطّعُ، وقد لطم الناشئ، لطماً عظيماً على وجهه عند قراءة هذه القصيدة وتبعه الناس كلهم."

وأضاف "نزلت مظاهر العزاء الحسيني بشكل بارز في عهد البويهيين إلى الشوارع العامة ببغداد بعد عشرات السنين من التغييب والكبت والاختفاء، وأسرعت أقلام المؤرخين وكتّاب السيَر إلى تسجيل ما حدث في بغداد يوم عاشوراء."

ويعبّر اللطم بمجمله عن النزوع العاطفي والإنساني بمختلف الأزمان للتعبير عن الألم في حالات الوفيات، بحسب الباحثة في علم النفس مناهل الصالح.

وتوضح الصالح أن "للطم ايجابيات كثيرة إذا تعدى مرحلة اللطم الخفيف أصبح جزعاً، فالجزع مؤذ، أما اللطم فهناك العديد من الإيجابيات من منظور نفسي، حيث يوفر وسيلة لتفريغ المشاعر المكبوتة من حزن، وظلم، وقهر."

وتؤكد أن "اللطم يخلق شعوراً بالانتماء إلى الجماعة أو الموروث الديني أو الثقافي،" مضيفة أن "بعض الدراسات في علم النفس، تشير إلى أن الحركات الإيقاعية الجماعية مثل اللطم والتصفيق أو حتى الرقص الصوفي، تساعد في تنظيم الجهاز العصبي وتقليل التوتر وتخلق نوعاً من الصفاء الذهني المؤقت."

ويُعتبر اللطم أحد أبرز الشعائر الدينية لدى المسلمين الشيعة في العالم عموماً، وفي العراق خصوصاً، لكونه يرتبط بإحياء ذكرى دينية. لكن هذا التقليد الجماعي يشهد اليوم إيقاعات أقرب إلى موسيقى "الهيب هوب" وصاروا يطلقون عليها اسم "الراب المهدوي".

ويبدو أن بعض الجماعات الشيعية في جنوب العراق الذي تحكمه تقاليد عشائرية قد أدخلت هذا النوع الجديد من اللطم الذي يترافق مع رواية السيرة الرثائية الحسينية بأسلوب جديد تحت شعار استقطاب الشباب. لكن، رغم نجاح هذه الظاهرة باستقطاب الكثيرين، إلا أنها تتعرض لانتقاداتٍ غاضبة من رجال الدين المصدومين.

وإمام أحد المساجد في النجف جنوبي بغداد لطيف العميدي (45 عاما)، يصف تلك التيارات بأنها "منحرفة دينياً، واستغلت العواطف والواعز الديني والعقيدي عند بعض الشباب، فأدخلت ما ليس في الدين بالدين." ويعتبر أن "ما يسمى بالشور والراب وهذه الأمور والخزعبلات (...) محرمة في الإسلام."

وباسم الكربلائي الملقب بـ"الملا" هو أشهر المنشدين أو "رواديد حسينيون" كما يسمونهم في بلاد الرافدين. وهو معروف على صعيد العالم الإسلامي بندبياته التي تعتبر عصرية بالكلمة واللحن.

لكن في منطقة المدحتية التي تبعد نحو مئة كيلومتر إلى جنوب بغداد، يصطف شبان بقمصان حمراء وسراويل سوداء للطم صدورهم، أمام منصة يعتليها رادود ينشد الندبة بإيقاع الراب السريع.

ولتعزيز الاستقطاب، رفع المنظمون خلف المنصة لافتة كبيرة يستشهدون فيها بكتاب العهد القديم "سفر ميخا"، تتوسط سلامين على السيدة زينب أخت الحسين، والسيدة مريم العذراء، تحت شعار "تقوى، وسطية، أخلاق."

ويقول كرار البديري، وهو أحد منشدي هذا النوع الجديد من الندبيات "نحن أصحاب رسالة، نريد إيصالها لشبابنا وإخواننا الأعزاء.. وبما أن هدفنا هو التربية الصالحة والإصلاح، فقد استحدثنا وطورنا الراب المهدوي الحسيني الإسلامي."

> ظاهرة اللطم تطورت بإنشاد الشعر الرثائي في ما يتألق بعض (الرواديد) في زيادة وتيرة تتناغم مع نوبات اللطم

ويضيف مستشهدا بآيات قرآنية "علينا مخاطبة الشباب بالوسيلة التي اعتادوا عليها ذهنيا وعمليا،" وذلك يأتي في إطار "إنقاذ شبابنا المحروم والمظلوم، الذي هرب من رجال الدين الكلاسيكيين الرجعيين إلى الرذيلة والانحلال والجريمة والمخدرات والجهل والإلحاد."

وتجري حلقة العزاء الحسيني تلك في حسينية الفتح المبين، تحت أنظار عدد من رجال الدين، بينهم الشيخ سالم الجناحي الذي يتبع المرجع الشيعي محمود الحسني الصرخي المثير للجدل والذي اشتهر بمعارضته لتصريحات المرجعية الشيعية الأعلى في العراق.

ويقول الجناحي فيما يطغى صوت "الراب المهدوي" ولطم الصدور على صوته، إن "فساد وإفساد رجال الدين المتسلطين الذين سادوا في المشهد الاجتماعي والسياسي أدى بالشباب إلى النفور من الخطاب الديني."

ولا ينفصل الدين عن السياسة في العراق الذي شهد حرباً طائفية دامية عقب الغزو الأميركي للبلاد وإسقاط نظام صدام حسين في العام 2003، ما عزز الانقسامات العرقية والمذهبية.

وإن كان بعض رواديد "الراب الحسيني" باتوا معروفين بين الشيعة الذين يشكلون ثلثي سكان العراق، فإن هذا النوع من الإيقاعات لم يتمكن من الوصول إلى مدينتي النجف وكربلاء المقدستين لدى الشيعة، حيث مراقد الإمام علي وولديه الحسين والعباس التي تعد قبلة للشيعة حول العالم.

ورغم ذلك، لم تصدر أيّ فتوى عن المرجعية الشيعية الأعلى في العراق بتحريم أو إبداء الرأي بهذه الظاهرة، غير أن بعض المراجع في إيران أصدرت فتاوى بتحريمها.

وفي عملية تسويق الراب الجديد، تنتشر فيديوهات مصورة لتلك الحلقات على وسائل التواصل الاجتماعي تلقى سيلا من التعليقات المؤيدة والمعارضة.

وفي أحد الفيديوهات المصورة في حقل لأشجار النخيل التي تعد رمزا للعراق، يقول مغني راب شاب يرتدي قبعة وسروالا من الجينز "معلمي ماله مثيل، معلمي صاحب دليل. أنا أنشر في أشعاري قضية ونهج الإمام."

ويهدف إدماج الموسيقى في الاحتفالات إلى مخاطبة الشباب بلغتهم والاقتراب منهم أكثر فأكثر.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

عملاقا أوروبا على موعد مع نهائي كأس العالم للأندية 2025

مواجهات سان جرمان وتشيلسي إثارة دائمة وأهداف حاضرة

تنتظر جماهير كرة القدم في العالم، وبشكل خاص عشاق باريس سان جرمان وتشيلسي، مواجهة تاريخية مرتقبة؛ عملاقا أوروبا على موعد مع نهائي كأس العالم للأندية 2025، في ليلة كروية استثنائية ستقام على ملعب ميتلايف، مع اقتراب هذه المواجهة الكبيرة إليكم كل التفاصيل الهامة حول توقيت المباراة والقنوات الناقلة لهذا اللقاء المنتظر.

حوار العمالقة يشد الأنظار

واشنطن - يترقب محبو الساحرة المستديرة المباراة النهائية لبطولة كأس العالم للأندية لكرة القدم، في نسختها الأولى بشكلها الحديث، بين باريس سان جرمان الفرنسي وتشيلسي الإنجليزي، اليوم الأحد على ملعب ميتلايف في نيو جيرسي. وربما تكون هذه هي المواجهة الأهم بين الفريقين حتى الآن، لكنها ببساطة الأحدث في سلسلة طويلة من المواجهات الشرسة بين عملاقي كرة القدم الأوروبية.

وإجمالا سيكون هذا اللقاء هو التاسع بينهما، وقد سبق أن التقيا ست مرات في ثلاث سنوات حافلة بين عامي 2014 و2016. وكانت المنافسة بينهما متقاربة للغاية، حيث حقق تشيلسي انتصارين، بينما فاز الفريق الباريسي في ثلاث مباريات، وتعادلا في ثلاث مناسبات، وشهدت جميع تلك المواجهات العديد من الأهداف الرائعة.

> رغم رحيل مبابي، نجح إنريكي في التأكيد أن اللعب الجماعي هو مفتاح النجاح، مانحا الفريق الأمل بمستقبل أكثر إشراقا

كما شهدت المواجهات السابقة التي جمعت بين باريس سان جرمان وتشيلسي أهدافا لا تنسى من نجوم وأساطير أمثال ديدييه دروغبا وخافيير باستوري وإدينسون كافاني، حيث استعرض الموقع الإلكتروني الرسمي للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) لقاءاتهما السابقة، وهو ما نلقي الضوء عليه في الأسطر التالية:

عرض خاص

تحول اللقاء الأول في تاريخ مواجهات الفريقين إلى عرض خاص للنجم الإيفواري ديدييه دروغبا، وذلك ضمن الجولة الافتتاحية من دور المجموعات في دوري أبطال أوروبا. وأضفى دروغبا طابعا خاصا على المباراة، إذ كان قد انضم إلى صفوف تشيلسي قادما من أولمبيك مارسيليا الفرنسي، الغريم التقليدي لباريس سان جرمان، وتمكن من تسجيل هدفين أسكت بهما الجماهير التي كانت تهاجمه. وكان جون تيري، قائد الفريق الإنجليزي، قد افتتح التسجيل في وقت مبكر من اللقاء.

وفي لقاء آخر شهد البوسني وحيد خاليلوزيتش، مدرب باريس سان جرمان، أداء محسنا بشكل كبير من لاعبي فريقه في ملعب ستامفورد بريدج، حيث نجحوا في انتزاع تعادل سلبي مستحق أمام أصحاب الأرض. واقترب ماتيا كيزمان وفرانك لامبارد وجو كول من التسجيل لصالح تشيلسي، كما شكل المهاجم رينالدو تهديدا هجوميا لسان جرمان. وفي أبريل 2014 فاز باريس سان جرمان على تشيلسي بنتيجة 3 – 1؛ إذ حقق الأفضلية في ذهاب دور الثمانية من دوري أبطال أوروبا، بعد أن سجل إيزيكيل لافيتزي هدفا مبكرا ليضع أصحاب الأرض في المقدمة، قبل أن يحرز إدين هازارد هدف التعادل من ركلة جزاء.

وأعاد هدف عكسي سجله ديفيد لويز التقدم لسان جرمان، قبل أن يضيف خافيير باستوري الهدف الثالث من مجهود فردي رائع في الوقت المحتسب بدلا من الضائع.

كذلك في أبريل 2014 فاز تشيلسي على باريس سان جرمان بنتيجة 2 – 0، حيث أنه في ليلة مليئة بالإثارة في غرب العاصمة البريطانية لندن أشعل هدف متأخر سجله ديمبا با احتفالات عارمة على خط التماس بقيادة المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو، إذ منح تشيلسي بطاقة التأهل للدور نصف النهائي بفضل قاعدة الأهداف خارج الأرض. وكان أندريه شورله قد افتتح التسجيل لأصحاب الأرض في الشوط الأول، قبل أن يحسم المواجهة في اللحظات الحاسمة للفريق اللندني.

وفي فبراير 2015 تعادل باريس سان جرمان وتشيلسي بنتيجة 1–1، حيث شعر الفريق الفرنسي بخيبة أمل بعد التعادل في ذهاب دور الـ16 من دوري أبطال أوروبا، وذلك بعد أن سجل برانيسلاف إيفانوفيتش هدف التقدم لفريق جوزيه مورينيو. وعادل إدينسون كافاني النتيجة لفريق العاصمة الفرنسية، الذي سيطر لاعبوه على المباراة لكنهم لم يتمكنوا من تسجيل هدف الفوز.

وفي مارس 2015 تعادل تشيلسي 2–2 مع باريس سان جرمان (بعد الأشواط الإضافية)، إذ ثأر باريس سان جرمان بطريقة درامية في ليلة لا تنسى، رغم خوضه معظم المباراة بنقص عددي بعد طرد نجمه السويدي آنذاك زلاتان إبراهيموفيتش. وبدت الأمور محسومة لصالح تشيلسي عندما سجل جاري كاهيل هدفا متأخرا، لكن ديفيد لويز أدرك التعادل بضربة رأس في مرمى فريقه السابق. وفي الشوط الإضافي أعاد النجم البلجيكي إدين هازارد التقدم لأصحاب الأرض من ركلة جزاء، لكن المدافع البرازيلي تياغو سيلفا أحرز هدفا تاريخيا بضربة رأس قاتلة، منح بها باريس سان جرمان بطاقة التأهل بفضل قاعدة الأهداف خارج الأرض.

وفي شهر فبراير 2016 فاز باريس سان جرمان على تشيلسي بنتيجة 2 – 1، حيث انتهت مواجهة أخرى في دور الـ16 باحتفالات باريسية جديدة، إذ افتتح زلاتان إبراهيموفيتش التسجيل لأصحاب الأرض من ركلة حرة ارتطمت بأحد المدافعين وخدعت الحارس، لكن النيجيري جون ميكيل أوبي أدرك التعادل لتشيلسي قبل نهاية الشوط الأول.

وتواصلت الإثارة بعدما سجل المهاجم الأوروغوياني إدينسون كافاني في شباك الفريق الإنجليزي، بعد أن حول تمريرة زميله الأرجنتيني أنخيل دي ماريا إلى هدف منح سان جرمان الأفضلية قبل لقاء الإياب في لندن. وفي شهر مارس 2016 خسر تشيلسي 1 – 2 أمام باريس سان جرمان، الفريق الزائر بقيادة إبراهيموفيتش، الذي صنع الهدف الأول لزميله أدريان رابيو، ثم سجل هدف الفوز بنفسه. وكان المهاجم الإسباني دييغو كوستا منح تشيلسي بارقة أمل حين أدرك التعادل مؤقتا، لكن ذلك لم يكن كافيا لتجنب الإقصاء.

البحث عن التوازن

يبحث باريس سان جرمان الفرنسي عن تحقيق التوازن بين إضافة لقب جديد إلى موسمه التاريخي الذي شهد تحقيق حلمه الأكبر بإحراز لقب دوري أبطال أوروبا لأول مرة، وعدم المخاطرة بصحة لاعبيه بعد موسم طويل وشاق، وذلك حين يخوض الأحد نهائي مونديال الأندية بحلته الجديدة الموسعة في مواجهة تشيلسي الإنجليزي.

وعكس المدرب الإسباني للنادي الباريسي لويس إنريكي المخاوف من تأثير الجهد البدني الكبير، بالقول في 28 يونيو "بدأ موسمنا في 14 يوليو (2024)، وإذا وصلنا إلى النهائي، فسيكون موسمنا من 365 يوما."

وبالفعل، وصل سان جرمان إلى النهائي بفوزه الساحق على العملاق الإسباني ريال مدريد 4 – 0 في نصف النهائي، مؤكدا أن ما حققه ضد إنتر الإيطالي في نهائي دوري أبطال أوروبا حين أذله 5 – 0 لم يكن وليد الصدفة، بل كان حصادا لما زرعه إنريكي الذي غير طريقة النظر إلى النادي الفرنسي كمجموعة من النجوم الكبار بهالة إعلامية هائلة.

بأي ثمن؟

توج نادي العاصمة العام الماضي بثنائية الدوري والكأس المحليين ووصل إلى نصف نهائي دوري أبطال أوروبا في أول موسم له بقيادة إنريكي، معتمدا بشكل رئيسي على كيليان مبابي الذي سجل 44 هدفا رغم أنه استبعد من الفريق لفترة خلال النصف الثاني بعدما بات جليا أنه يرغب في الانتقال إلى ريال مدريد وعدم توقيع عقد جديد.

ورغم رحيل لاعب من طراز مبابي، نجح إنريكي في التأكيد على أن اللعب الجماعي هو مفتاح النجاح، مانحا الفريق الباريسي الأمل في مستقبل أكثر إشراقا قاده في 2025 إلى ألقاب الدوري والكأس وكأس الأبطال محليا ودوري أبطال أوروبا قاريا. ويقف سان جرمان الآن على بعد مباراة واحدة من إضافة لقب مونديال الأندية، مع إدراكه أن المجهود الإضافي الاستثنائي لهذا الموسم قد يترك أثره على اللاعبين أو حتى قد يهدد صحتهم قبل أسابيع قليلة من انطلاق الموسم الجديد.

ورغم دعمه لهذه البطولة الجديدة، دأب إنريكي على التذكير بأثر الروزنامة المزدحمة على اللاعبين الذين بدأوا موسمهم قبل عام في صيف 2024.

ويواصل سان جرمان بجميع أعضائه التعبير عن الرغبة في "صناعة التاريخ" أكثر فأكثر، لكن بأي ثمن؟ بدا جليا، رغم الاندفاع الكبير في الفوز الساحق على ريال مدريد في نصف النهائي، أن الإرهاق البدني والذهني بدأ يشق طريقه إلى لاعبي إنريكي. وقال الإسباني فابيان رويس الذي سجل هدفين الأربعاء في مرمى النادي الملكي "الحقيقة هي أن الأمور أصبحت أصعب قليلا في هذه المرحلة من الموسم."

> إنريكي ولاعبوه يدركون أن بعد رحلتهم المونديالية في الولايات المتحدة سيجدون أنفسهم أمام استحقاقات قادمة

وفي وقت سابق من البطولة انتقد البرتغالي فيتينيا أيضا وتيرة المباريات "المتواصلة"، معلقا على الإرهاق بالقول "أعتقد أنكم تستطيعون رؤيته."

ويدرك إنريكي ولاعبوه أن بعد رحلتهم المونديالية في الولايات المتحدة، سيجدون أنفسهم سريعا أمام استحقاقات قادمة، أولها في 13 أغسطس حين يخوضون مواجهة الكأس السوبر الأوروبية ضد توتنهام الإنجليزي بطل "يوروبا ليغ" في أودينسي الإيطالية. ذلك يعني أن اللاعبين سيحصلون على فترة راحة قصيرة لا تتجاوز الثلاثة أسابيع بعد نهائي الأحد ضد تشيلسي.

وسيحاول سان جرمان جاهدا ألا يفوت عليه فرصة الفوز بالكأس السوبر حتى وإن كان اللقب "صغيرا" مقارنة بالألقاب الأخرى، قبل أن يبدأ بعد ذلك بأربعة أيام فقط مشواره في الدوري على أرض نانت.

وسيكون الموسم المقبل مكثفا ومرهقا جدا للاعبين الذين سيضطر أغلبهم إلى الالتحاق بمنتخبات بلدانهم في بداية الصيف المقبل من أجل خوض مونديال 2026. وإدراكا منهما أنه من غير المعقول تجاوز الحدود البدنية والذهنية، وحرصا على مكافأة اللاعبين على موسمهم القياسي، أدركت إدارة سان جرمان والجهاز الفني بقيادة إنريكي بسرعة أهمية فترات الراحة. وسبق للمدرب الإسباني أن أدار مسألة إراحة اللاعبين خلال الموسم الماضي، وسيكرر الأمر ذاته في الموسم القادم.

وقد صرح الإسباني بأنه وجهازه الفني يسجلان بدقة متناهية وقت لعب كل لاعب بهدف تنظيمه، حتى وإن كان ذلك يشكل تحديا يوميا. وفي فبراير قال إنريكي "إنها تتريس (لعبة فيديو على شكل أحجية) بكل وضوح. يمكننا التخطيط للأمور، لكن قد يكون هناك لاعبان مريضان في التدريب، وآخر موقوف... يجب أن يبقى الوضع مفتوحا. سنُدير وقت لعب الجميع، لكن الأمر سيكون صعبا."

وبعد إياب نصف نهائي دوري أبطال أوروبا ضد أرسنال الإنجليزي، سمح سان جرمان لسبعة لاعبين أساسيين بالراحة بدلا من السفر إلى مونبلييه لخوض مباراة في الدوري الفرنسي. أما النجم عثمان ديمبيليه فأُعفي من المشاركة في مباريات الدوري الفرنسي كثيرا بدءا من الربيع، عندما كان في قمة تألقه.

وخلال مونديال الأندية كانت المقاربة مختلفة بعض الشيء، حيث اقتصرت المداورة على مباراة بوتافوغو البرازيلي في دور المجموعات، وكانت بمثابة فشل ذريع إذ هزم الفريق 0 – 1 مع فرص قليلة للتسجيل. لكن النادي قرر مبكرا في إيرفين، إحدى ضواحي لوس أنجلس، منح اللاعبين حرية أكبر بعد التدريب الصباحي، وقد لاقى هذا الإجراء الاستثنائي ترحيبا من اللاعبين، بينهم الحارس الإيطالي جانلويجي دوناروما الذي قال "شكرا للمدرب، شكرا للإدارة" للسماح بقضاء فترة ما بعد الظهيرة على الشاطئ أو التسوق من أجل "الاسترخاء" وبهدف "الفوز" بشكل أفضل.

وفي هذا الأسبوع أقام سان جرمان معسكره في نيوجيرزي، قبل أن ينتقل إلى فندق في قلب مانهاتن. واستمتع اللاعبون كثيرا كما ظهروا على وسائل التواصل الاجتماعي، على غرار البرتغالي جواو نيفيش الذي نشر صورا له ولصديقته في تايمز سكوير.

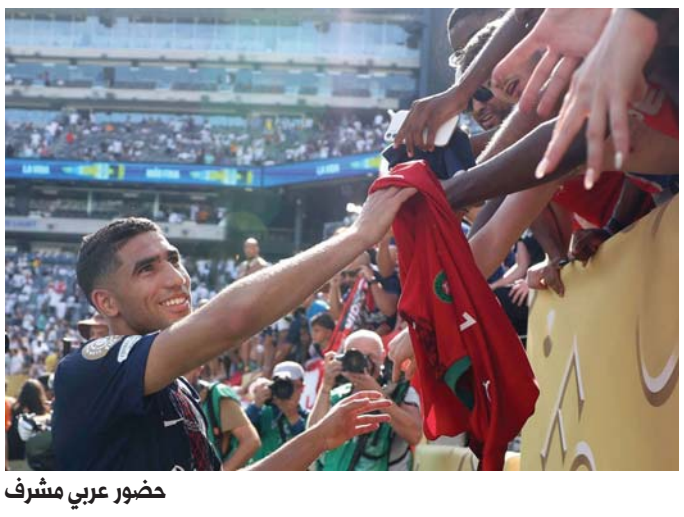

حضور عربي مشرف

رفض الانتقادات

رفض أرسن فينغر الانتقادات الشديدة التي وجهها يورغن كلوب لبطولة كأس العالم للأندية لكرة القدم، وقال إن كرة القدم العالمية كانت بحاجة إلى البطولة بشكلها الجديد والموسع.

وقال فينغر في تصريحات نشرتها هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) "لكل شخص الحق في إبداء رأيه، وأنا لا أشارك يورغن كلوب وجهة نظره على الإطلاق." وقال كلوب، مدرب ليفربول السابق، لصحيفة "فيلت آم سونتاغ" قبل أسبوعين إن مونديال الأندية "أسوأ فكرة على الإطلاق تم تطبيقها في كرة القدم."

وكان لفينغر، المدرب السابق لفريق أرسنال والذي يشغل الآن منصب رئيس تطوير كرة القدم العالمية في الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، رأي مختلف.

وقال "أشعر أنه كانت هناك حاجة إلى إقامة بطولة كأس العالم للأندية. إذا سألت جميع الأندية التي شاركت هنا فستكون كل الإجابات أنها تود المشاركة مرة أخرى. وهذه أفضل إجابة على ما تفكر فيه الأندية بشأن بطولة كأس العالم للأندية."

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

سينر وألكاراز في موعد ناري متجدد لنهائي ويمبلدون للتنس

هيمنة ثنائية على الألقاب العالمية في السنوات الأخيرة

يواجه الإيطالي يانيك سينر المصنف أول عالميا، المصنف الثاني الإسباني كارلوس ألكاراز في نهائي بطولة ويمبلدون للتنس، وسط تطلعات الجماهير لمباراة شيقة من أجل تحقيق اللقب.

فرصة أخرى لتحطيم الأرقام

لندن - بات محبو رياضة كرة المضرب على موعد مع نهائي ناري متجدد بين الايطالي يانيك سينر المصنف أول عالميا والإسباني كارلوس ألكاراز الثاني بعد تغلبهما على الصربي نوفاك ديوكوفيتش حامل اللقب سبع مرات 6 – 3، 6 – 3 و6 – 4 والأميركي تايلور فريتس الخامس 6 – 4 و5 – 7 و6 – 3 و7 – 6 (6 – 8) تواليا في الدور نصف النهائي لبطولة ويمبلدون الإنجليزية، ثالثة البطولات الأربع الكبرى.

وبلغ سينر النهائي الرابع تواليا له في البطولات الكبرى، والأول له على الإطلاق في نادي عموم إنجلترا حيث سيركز سعيه على الثأر من خسارته المؤلمة في نهائي بطولة رولان غاروس الشهر الماضي أمام ألكاراز نفسه بعدما أهدر ثلاث فرص لحسم المباراة وبعدما كان متقدما بمجموعتين نظيفتين.

> كارلوس ألكاراز بات على بعد فوز من معادلة رقم السويدي بيون بورغ من حيث عدد الانتصارات في 18 مشاركة

وعموما، بات اللاعبان يهيمنان بشكل كبير على رياضة كرة المضرب، بعد أن توجا بألقاب آخر ست بطولات كبرى، منذ انتهاء حقبة هيمنة الثلاثي الكبير.

وقال سينر "إنها بطولة كنت أتابعها دائما في صغري على التلفاز، ولم أكن لأتخيل أبدا أنني سألعب هنا، كما تعلمون، في النهائي، لذا كان الأمر مذهلا."

وأضاف "من جهتي، كان إرسالي ممتازا، وشعرت براحة تامة في الملعب، وتحركت بشكل رائع، رأينا في المجموعة الثالثة أنه كان مصابا بعض الشيء. لقد كان في موقف صعب للغاية، لكنني حاولت الحفاظ على هدوئي، وتقديم أفضل ما لديّ من أداء في كرة المضرب." من جهته، سيستمر بحث ديوكوفيتش (38 عاما) عن فرصة أخرى لإحراز لقبه الـ25 القياسي في الغراند سلام ومعادلة غريمه السابق السويسري روجيه فيدرر بثمانية ألقاب في البطولة الإنجليزية العريقة.

وهذه المرة الأولى التي يفشل فيها الصربي في بلوغ نهائي ويمبلدون منذ عام 2017.

وفي مجريات اللقاء، استمر سينر في ارتداء غطاء واق أبيض بعد سقوطه المؤلم أمام البلغاري غريغور ديميتروف في بداية مباراتهما في الدور الرابع.

كذلك، حامت الشكوك حول لياقة ديوكوفيتش بعد سقوطه على الأرض بقوة خلال مباراته التي فاز بها على الإيطالي فلافيو كوبولي في ربع النهائي.

وتمكن سينر من كسر إرسال ديوكوفيتش في الشوط الثالث، بعد سلسلة من الضربات القوية التي هيمن من خلالها على مجريات اللقاء.

وحاول النجم الصربي المخضرم التمسك بإرساله لكنه خسره في الشوط التاسع ليحسم سينر المجموعة الافتتاحية.

وتابع سينر ضغطه في المجموعة الثانية كاسرا إرسال منافسه ليتقدم 2 – 0 سريعا. في المقابل، عانى ديوكوفيتش لإيجاد موطئ قدم لكنه حافظ على إرساله ليقلص النتيجة إلى 3 – 1، ورغم تحفيز الجماهير له وجد نفسه متأخرا 2 – 5. وما لبث إن حسم سينر المجموعة على إرساله 6 – 3.

وتلقى ديوكوفيتش العلاج من مدربه خلال الاستراحة بين المجموعتين في ذراعه اليسرى، متأثرا من الإصابة السابقة أمام كوبولي.

وعاد الصربي إلى الملعب ليكسر إرسال منافسه للمرة الأولى، بيد أنه وجد نفسه متأخرا 2 – 3. وفي ظل تراجعه البدني الواضح، خسر إرساله مرة أخرى ليتمكن سينر من حسم اللقاء لمصلحته.

من جهته، قال ألكاراز عن مواجهة فريتس "كانت مباراة صعبة جدا، كما يحصل دائما عندما أواجه تايلور. كانت أصعب كذلك بسبب الأجواء. كان الطقس حارا جدا."

وتابع ابن الـ22 عاما "تعاملت جيدا مع التوتر. خوض الدور نصف النهائي هنا هو بأمر غير سهل. أنا فخور جدا بالطريقة التي بقيت فيها هادئا وفكرت فيها بطريقة واضحة. أنا مسرور بأدائي."

وبات ألكاراز على بعد فوز من معادلة رقم السويدي الأسطوري بيون بورغ من حيث عدد الانتصارات في البطولات الكبرى في 18 مشاركة، بعدما رفع رصيده إلى 77، لكنه لن يكون قادرا على معادلة رقم الأميركي جون ماكنرو الذي حقق 81 انتصارا في مشاركاته الـ18 الأولى في الغراند سلام.

لكن في ما يخص الألقاب، سيكون ألكاراز قادرا على معادلة المتصدر بورغ الذي فاز بستة ألقاب خلال مشاركاته الـ18 الأولى في البطولات الكبرى (رولان غاروس عامي 1974 و1975 و1978 وويمبلدون عامي 1976 و1978)، كما سيصبح ثاني لاعب فقط بعد السويدي بالذات يحرز رولان غاروس وويمبلدون لعامين تواليا.

وبات الإسباني على بعد فوز واحد من أن يصبح خامس لاعب في الحقبة المفتوحة يحرز لقب البطولة الإنجليزية ثلاث مرات تواليا بعد بورغ، الأميركي بيت سامبراس، فيدرر وديوكوفيتش.

كما سيصبح ثاني أصغر لاعب في العصر المفتوح يفوز بستة ألقاب كبرى بعد بورغ الذي يلغ هذا الإنجاز في ويمبلدون عام 1978 بسن الـ22.

وسبق لألكاراز أن هزم ديوكوفيتش في نهائي ويمبلدون في العامين الماضيين، كما يتفوق 8 – 4 في المواجهات المباشرة مع سينر في مواجهاتهما الـ12. وبدأ ألكاراز مواجهته مع فريتس بأفضل طريقة منتزعا الشوط الأول على إرسال منافسه، وكان ذلك كافيا له لخلق الفارق وحسم المجموعة 6 – 4 في 35 دقيقة بعد فوزه بالشوط العاشر نظيفا.

لكن الإسباني عجز عن تكرار الأمر ذاته في بداية المجموعة الثانية، ليفرض التعادل نفسه بعد تمسك كل منهما بإرساله، وذلك حتى الشوط الثامن حين حصل فريتس على فرصته الأولى للكسر لكنه لم يترجمها، لتبقى الكلمة للتعادل.

وحصل الأميركي على أربع فرص لكسر إرسال الإسباني في الشوط الثاني عشر، واستثمر ذلك على أكمل وجه ليحسم المجموعة 7 – 5 ويدرك التعادل.

واستعاد الإسباني توازنه سريعا فتمكن من كسر إرسال منافسه في الشوط الثالث من المجموعة الثالثة في طريقه لحسم المجموعة.

وفي مجموعة رابعة دراماتيكية، تمكن فريتس من قلب تأخره 1 – 4 للتقدم 6 – 4، إلا أن ألكاراز الذي أنقذ كرتين لتفادي خسارة المجموعة، استطاع معادلة النتيجة 6 – 6 ثم حسم شوط كسر التعادل 8 – 6 حاسما عبوره إلى النهائي.

لويس إنريكي: نجاح باريس سان جيرمان يكمن في روح الفريق وليس النجوم

عزم على تحقيق اللقب

نيوجيرزي (الولايات المتحدة) - أكد لويس إنريكي مدرب باريس سان جيرمان، الجمعة، أن مفتاح طفرة فريقه يكمن في الروح الجماعية وليس الاعتماد على التألق الفردي، إذ يستعد بطل فرنسا وأوروبا لمواجهة تشيلسي في نهائي كأس العالم للأندية لكرة القدم اليوم الأحد.

ويسعى الفريق الباريسي، الذي تعززت معنوياته بانتصاره التاريخي في دوري أبطال أوروبا قبل أكثر من شهر، للفوز بلقب كأس العالم للأندية للمرة الأولى في تاريخه.

وأشرف لويس إنريكي على تحول كبير في باريس سان جيرمان بعدما استبدل النجوم المغادرين نيمار وليونيل ميسي وكيليان مبابي بفريق ديناميكي وشاب يجسد فلسفته الكروية الشاملة.

وفي حديثه خلال مؤتمر صحفي في ملعب ميتلايف في نيوجيرزي، قلل المدرب الإسباني من أهمية التلميحات حول كونه الشخصية المركزية في الفريق، وأشاد بدلا من ذلك بالتزام اللاعبين بتحقيق هدف مشترك.

وقال لويس إنريكي "لست نجما.. أنا أحب عملي. أستمتع بمسيرتي المهنية، خاصة في الأوقات الصعبة. عندما لا تسير الأمور على ما يرام، أشعر بتحسن. من الجيد أن تسير الأمور على ما يرام، لأن أفضل ما في الفوز هو إسعاد جماهيرنا. كنت أفضل بكثير عندما تعرضت للنقد مقارنة بتلقي الثناء."

وألمح لويس إنريكي، الذي قاد برشلونة سابقا للفوز بلقب دوري أبطال أوروبا، إلى أن هذا الموسم قد يكون بين الأفضل في مسيرته التدريبية لكنه أكد أن النجاح لن يتحدد إلا بعد نهائي الغد.

وقال "ربما يكون هذا أفضل موسم في مسيرتي التدريبية. لكن لا يزال أمامنا نهائي للفوز به. عندما نفوز سنتحدث عنه." وسلط المدرب الإسباني الضوء أيضا على الطبيعة المتقلبة لكرة القدم، وضرب المثل بمعاناة مانشستر سيتي الأخيرة كقصة تحذيرية.

> المدرب الإسباني لويس إنريكي ألمح إلى أن هذا الموسم قد يكون بين الأفضل في مسيرته التدريبية

وأوضح "رأينا مانشستر سيتي، على سبيل المثال. فازوا بكل شيء العام الماضي ثم خسروا عشر مباريات. بيب غواردیولا لا يزال أفضل مدرب في العالم، ولا يزالون ينتقدونه بشكل كبير. لذلك أفضل النقد على المديح لأنه يجعلك تشعر بالتواضع، إنه الواقع."

وجدد إنريكي رؤيته لنهج يضع الفريق في المقام الأول، قائلا "يجب أن نكون فريقا يضم أحد عشر نجما وليس نجما واحدا أو اثنين فقط. ولا حتى أحد عشر ربما 13 أو 15 نجما.. النجم الحقيقي يجب أن يكون الفريق بالكامل. هذا ما يجسده ناديا. سنخسر مجددا قريبا بالتأكيد. نريد نجوما لكن في خدمة الفريق."

ومن المتوقع أن تكون مباراة باريس سان جيرمان وتشيلسي مثيرة، إذ يتنافس الفريقان على إضافة لقب دولي ثمين إلى سجلهما.

لابورتا يقترب من إنعاش خزينة برشلونة بـ40 مليون يورو

برشلونة (إسبانيا)- يواصل خوان لابورتا، رئيس نادي برشلونة الإسباني، خطواته الحثيثة لتحسين الوضع المالي للنادي، في إطار مساعيه المستمرة للامتثال لقواعد اللعب المالي النظيف وتعزيز قدرة "البلوغرانا" على التحرك بحرية في سوق الانتقالات.

وذكرت صحيفة "ماركا" الإسبانية، أن برشلونة دخل في مفاوضات متقدمة مع حكومة الغابون لإبرام عقد رعاية يهدف إلى الترويج للسياحة في الدولة الأفريقية، في صفقة ينتظر أن تُنعش خزائن النادي بمبلغ يصل إلى 10 ملايين يورو سنويا.

ورغم تداول تقارير تشير إلى حسم الاتفاق، أوضحت الصحيفة أن المفاوضات لا تزال جارية، مع وجود بعض التفاصيل التي تحتاج إلى اتفاق نهائي، خاصة ما يتعلق بمدة العقد، التي قد تمتد إلى 3 أو 4 مواسم، ما يعني إمكانية وصول إجمالي العائدات إلى 40 مليون يورو.

> المفاوضات تشمل بنودا إضافية ترتبط بعوائد متغيرة تعتمد على تحقيق أهداف محددة خلال فترة الشراكة

وتشمل المفاوضات بنودا إضافية ترتبط بعوائد متغيرة تعتمد على تحقيق أهداف محددة خلال فترة الشراكة، وسط تفاؤل داخل إدارة النادي بإمكانية التوصل إلى اتفاق نهائي خلال وقت قريب.

ولم تتوقف جهود برشلونة عند ملف الرعاة فقط، حيث أظهرت التقارير نموا كبيرا في قطاع التجزئة التابع للنادي، إذ سجلت الشركة المسؤولة عن هذا القطاع زيادة بثلاثة أضعاف في حجم المبيعات خلال السنة المالية الماضية، مع استقبال المتاجر الرسمية قرابة 10 ملايين زائر.

وساهمت إدارة ديكو، المدير الرياضي للنادي، في إنعاش الخزينة بنحو 20 مليون يورو خلال الصيف الجاري، من خلال بيع عدد من اللاعبين أبرزهم أليكس فاي، والصفقة المنتظرة لبابلو توري، بالإضافة إلى الأرباح المتبقية من انتقال لاعبين سابقين مثل جان كلير تودیبو وأليكس موريبا.

العرب
الأحد 2025/07/13
السنة 48 العدد 13543

الأردن يرسم تاريخه بحجارة الفسيفساء وفنها

يحمي الأردن أكثر من 1600 متر مربع من الفسيفساء في مأدبا، العاصمة التاريخية لهذا الفن، ويواصل نقل تراثها عبر معهد متخصص يُعد الوحيد من نوعه في الشرق الأوسط، ما يعزز الهوية الثقافية ويُبرز الإنجازات الحديثة.

شباب يحرس فن الفسيفساء

عمان - منذ تأسيس الأردن الحديث، شكّلت الفسيفساء جزءًا أصيلًا من الهوية الوطنية والتاريخية، وحظيت باهتمام خاص لتتحول مع مرور الزمن إلى إرث حضاري راسخ، وتتوّج مدينة مأدبا هذا الإرث بكونها العاصمة التاريخية لفن الفسيفساء في الشرق الأوسط، حيث تجتمع فيها أصالة التاريخ وروح الحرفة والإبداع المعماري.

وتشير الأرقام الموثقة التي حصلت عليها وكالة الأنباء الأردنية (بترا) من مديرية آثار مأدبا إلى أنّ قصبة مأدبا فقط تحتوي على 1600 متر مربع من الفسيفساء الجميلة المتقنة والفريدة من نوعها، واستطاع الأردن حمايتها وتوثيقها كإرث تاريخي مرتبط بوجود الأردن على مر التاريخ.

وقال أستاذ علم الآثار والتراث في الجامعة الهاشمية محمد وهيب، إن فن الفسيفساء في الأردن يُعدّ أحد المكونات الأساسية للسردية الوطنية التي تفتخر بها المملكة منذ نشأتها، مشيرًا إلى أن أقدم أرضية فسيفسائية في الأردن اكتُشفت في بلدة مكاور، وتعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، وقد صنعها فنان أردني باستخدام حجارة محلية باللونين الأبيض والأسود، ما يعكس عمق ارتباط الحرفة ببيئة المكان.

وأضاف، أن هذا الفن تطور بشكل ملحوظ عبر العصور، حيث بدأ بتزيين الأرضيات، ثم توسع ليشمل الجدران والأسقف، وبلغ ذروته في القرنين السادس والسابع الميلاديين، خاصة مع اكتشاف كنيسة الخارطة في مأدبا التي تُعدّ من أقدم الخرائط المصورة في العالم باستخدام الفسيفساء، وكنيسة القديس إستفانوس في أم الرصاص التي وصفها الخبراء العالميون بأنها من أجمل لوحات الفسيفساء في التاريخ، ليس فقط من حيث المساحة بل من حيث التفاصيل الفنية التي جسدت مدنًا ومناظر طبيعية وحياة يومية بدقة لافتة.

وبيّن وهيب، أن أكثر من 400 أرضية فسيفسائية مكتشفة في محافظات الأردن، مشيرًا إلى أن الحرفيين الأوائل في مأدبا، وعلى رأسهم المعلم "سلمانوس" في القرن السادس الميلادي، أسسوا تقاليد فنية عريقة، فكان سلمانوس يوقّع أعماله ويُدير مدرسة لتعليم فن الفسيفساء، وهو ما يُظهر مستوى التقدير الذي حظي به هذا الفن آنذاك، ويبرهن على أن صناعة الفسيفساء في الأردن لم تكن مجرد حرفة بل ثقافة متكاملة انتقلت عبر الأجيال.

وفي امتداد حيّ لهذا الإرث، أبدع أبناء مأدبا المعاصرون بصنع أكبر لوحة فسيفساء ملونة يدوية في العالم، بلغت مساحتها 180 مترًا مربعًا، لتُسجَّل كإنجاز أردني جديد يؤكد أن مأدبا لا تزال مركزًا حيًا لصناعة الفسيفساء على مستوى العالم، يجمع بين عبق التاريخ وحداثة الإنجاز، ويُجسد روح الانتماء لهذا الفن الذي أصبح رمزًا للهوية ومصدر فخر وطني.

من جانبه، قال عميد معهد فن الفسيفساء والترميم في مأدبا أحمد العمايرة، إن المعهد يُعدّ المؤسسة الأكاديمية الوحيدة من نوعها في منطقة الشرق الأوسط التي تمنح درجة الدبلوم في فن ترميم وصناعة الفسيفساء، مؤكدًا أن البرنامج الأكاديمي الذي يقدمه المعهد بُني على أسس علمية دقيقة، ويجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي الميداني بإشراف نخبة من الخبراء المحليين الدوليين.

وبيّن العمايرة أن المعهد تأسس عام 2007 نتيجة تعاون مشترك بين وزارة السياحة والآثار الأردنية، ودائرة الآثار العامة، والوكالة الأميركية للتنمية الدولية، والتعاون التنموي الإيطالي، بهدف إعداد كوادر فنية مؤهلة ومتخصصة في أعمال ترميم الفسيفساء وتشكيل الحجر.

وأوضح العمايرة أن المعهد حصل على الاعتمادين العام والخاص من مجلس التعليم العالي، ويقدم برنامج دبلوم يمتد لسنتين، يُمكّن الطلبة من دراسة مفاهيم علمية متقدمة في الترميم والإنتاج الفني، بالإضافة إلى تنفيذ مشاريع عملية ضمن مشاغل المعهد وفي مواقع أثرية فعلية، ما يعزز من مهارات الطلبة ويؤهلهم للحفاظ على التراث والترميم المعماري والفني.

وأكد رئيس قسم الترميم في معهد الفسيفساء والترميم في مأدبا، الخبير الدولي مشهور الطفيحات، أن مدينة مأدبا تُعدّ مدينة الفسيفساء بامتياز، نظرًا إلى احتوائها على مئات الأمتار من الفسيفساء التي تعود إلى الفترة البيزنطية.

وأوضح الطفيحات وجود العديد من الكنائس، إضافة إلى كاتدرائية (مجمع كنائسي) وأرضيات فسيفسائية في بعض المنازل من تلك الحقبة.

وأشار الطفيحات إلى أن موقع مأدبا بالقرب من مدينة القدس ساهم في تعزيز أهميتها خلال العصر البيزنطي، حيث تميزت الأرضيات الفسيفسائية بسردها قصصًا متعددة تعكس مظاهر الحياة اليومية في تلك الفترة. ولفت إلى أن كنيسة "سان جورج" تحتوي على خارطة فسيفسائية فريدة من نوعها عالميًا، تمثل مخططًا يوضح الأماكن الدينية المهمة في الأردن وفلسطين وسيناء في مصر، وربما امتدت إلى مناطق جغرافية أخرى فقدت مع مرور الزمن.

كما أكد الطفيحات أن معهد فن الفسيفساء والترميم يتحمل مسؤولية ترميم وصيانة كافة الأرضيات الفسيفسائية في مأدبا والأردن، مستخدمًا أحدث تقنيات الترميم والحفاظ عليها. كما نوّه إلى أن مدينة مأدبا حصلت عام 2018 على المركز الأول عالميًا في مجال الفسيفساء الحجرية وترميمها والمحافظة عليها.

المطبخ المغربي يتألق في واشنطن

واشنطن - تألّق فن الطبخ المغربي من جديد على الساحة الدولية، وهذه المرة في قلب العاصمة الأميركية واشنطن، خلال المسابقة السنوية "تحدي طهاة السفارات"، التي تشهد تنافسًا بين أبرز الطهاة الممثلين للبعثات الدبلوماسية في الولايات المتحدة.

وشارك المغرب في دورة هذه السنة إلى جانب 33 بلدا آخر، ممثلًا بالشيف إلهام أشماكو عن سفارة المملكة المغربية بواشنطن، التي أبهرت لجنة التحكيم بمهارتها في إعداد طبق "البسطيلة بالدجاج"، لتحصد بذلك المركز الثالث ضمن هذه التظاهرة الرفيعة.

وقد ضمّت لجنة التحكيم نخبة من الخبراء والصحافيين المتخصصين في فنون الطهي، الذين أشادوا بجمالية التقديم وتوازن النكهات في الطبق المغربي التقليدي. وعبرت الشيف أشماكو عن اعتزازها بتمثيل المغرب، مشددة على أن "المطبخ المغربي ليس فقط غنيا بنكهات متفردة؛ بل هو أيضا حامل لثقافة وتقاليد ضاربة في عمق التاريخ".

وحسب المنظمين، تُعد هذه المسابقة حدثا سنويا استثنائيا يحتفي بتنوّع الثقافات من خلال المطبخ، حيث يمنح الزوار تجربة حسية فريدة تتيح لهم السفر عبر مذاقات العالم دون مغادرة واشنطن.

وتألق المغرب في نسخ سابقة من هذه التظاهرة، عبر مشاركة الشيف موحا فضال والشيف فيصل الزهراوي؛ وهو ما يعكس الاستمرارية في تميّز المدرسة المغربية لفنون الطهي.

وتُعدّ مسابقة "دي سي إمباسي شيف تشالنج" إحدى المبادرات التي تجسّد قوة "الدبلوماسية الناعمة"، حيث تسهم في تعزيز صورة الدول وثقافاتها لدى الرأي العام الأميركي من خلال نوافذ الفن والذوق الرفيع.

مي فاروق تغني لأم كلثوم في مهرجان قرطاج الدولي

القاهرة - ضمن فعاليات الدورة الـ59 من مهرجان قرطاج الدولي، تطل الفنانة المصرية مي فاروق على جمهور المسرح الروماني العريق في سهرة طربية مميزة تُهدى إلى روح كوكب الشرق "أم كلثوم"، وذلك يوم 16 أغسطس المقبل.

وتأتي هذه الليلة الخاصة تكريمًا لصوت مصر الخالد، حيث تقدم مي فاروق باقة من روائع أم كلثوم التي حفرت مكانتها في الذاكرة الفنية العربية، وسط أجواء تُمزج فيها الأصالة بالمعاصرة، في إطار إستراتيجي يسعى مهرجان قرطاج من خلاله جذب الأجيال الجديدة إلى كنوز الطرب العربي الأصيل، دون التفريط في الطابع الشرقي الأصيل الذي اشتهرت به موسيقى أم كلثوم. الحفل يشكل علامة فارقة في برنامج مهرجان قرطاج هذا العام، ليس فقط لكونه احتفاء بإحدى أبرز رموز الغناء العربي، بل أيضًا لأنه يُقدَّم بصوت معاصر قادر على إعادة إحياء روح أم كلثوم بشكل يحاكي ذائقة الجمهور المعاصر، دون أن يفقد الطابع الطربي النقي للأعمال الأصلية.

من ناحية أخرى، تواصل مي فاروق مسيرتها الغنائية بإصدار جديد من ألبومها "تاريخي"، حيث تستعد لطرح أغنية "ضحكت فجأة" اليوم الأحد 13 يوليو في تمام الساعة 7 مساءً على قناتها الرسمية على يوتيوب والمنصات الرقمية.

وكانت قد طرحت مؤخرًا عدة أغنيات من الألبوم مثل: "باركوا"، و"سلطانة"، و"ميزني"، و"كان نفسي أقابلك"، و"اللي شافنا".

العُلا تُرسّخ مكانتها العالمية في بطولات الخيل

العلا (السعودية) - تواصل محافظة العُلا ترسيخ حضورها العالمي كوجهةً متكاملةً لبطولات الخيل وسباقاته المتنوعة، مستندة إلى إرث تاريخي عريق وثقته النقوش الصخرية المنتشرة في مواقع مختلفة، التي تُجسّد عمق العلاقة بين الإنسان والخيل منذ آلاف السنين.

وصادف يوم 11 يوليو الاحتفاء باليوم العالمي للخيل، وتبرز العُلا نموذجًا يُجسد المزج بين الأصالة والتنظيم العالمي، من خلال استضافتها لسلسلة من الفعاليات الكبرى، من أبرزها كأس خادم الحرمين الشريفين للقدرة والتحمل الأغلى عالميًا، وبطولة البولو، وبطولة العُلا الدولية لالتقاط الأوتاد، وكأس العالم للرماية من على ظهر الخيل، إضافة إلى كأس وزارة الرياضة، وكأس اللجنة الأولمبية والبارالمبية السعودية، وكأس الشباب والناشئين، وكأس الاتحاد السعودي للفروسية، وغيرها من الفعاليات والأنشطة المرتبطة بعالم الخيل.

ولا يقتصر تميّز العُلا في مجال الخيل على استضافتها للبطولات والفعاليات الدولية فحسب، بل يتجذّر أيضًا في وجدان سكانها وأهاليها، الذين تربطهم بالخيل علاقة تاريخية وثيقة لا تزال حاضرة في تفاصيل حياتهم اليومية، ويواصلون ممارسة تربية الخيل والعناية بها، والمشاركة بفاعلية في مختلف المنافسات.

وتُعد استضافة العُلا المرتقبة لبطولة العالم للقدرة والتحمل 2026، بالشراكة مع الاتحاد السعودي للفروسية، امتدادًا لنجاحات مواسمها السابقة، ومؤشرًا واضحًا على جاهزيتها العالمية كمحطة بارزة في أجندة سباقات الخيل الدولية.

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

لماذا سرقت

لا أحد يعرف كيف استطاعت مها الصغير أن تسطو على لوحات رسامة دنماركية ورسام فرنسي وأخرى ألمانية وتدعي أنها من إبداعاتها الشخصية، ثم تتقدم بها للظهور التلفزيوني «مع منى الشاذلي» وهو واحد من أكثر البرامج مشاهدة على الشاشة ومتابعة على مواقع التواصل الاجتماعي، وتظهر في الصورة وهي تقرأ الخطوط والظلال وتدرجات الألوان وتحاول تفسير المعاني التي ترغب في إيصالها إلى الجمهور؟

ثم تبين كذلك أن موهبة مها الصغير في ابتكار تصاميم وتصنيع الحقائب اليدوية مجرد وهم، ولا علاقة لها بالحقيقة، وأنها كانت تعتمد على تصاميم جاهزة من شركات عالمية شهيرة في باريس وروما ولندن وغيرها وتزعم أنها من إنتاجها الخاص ومن استلهاماتها الفنية، وما كان لزيف هذه الموهبة أن تنكشف لولا فضح زيف اللوحات التشكيلية الذي جاء بدوره في سياق تحول قضية طلاق النجم أحمد السقا إلى قضية رأي عام، ومحاولة بعض الأطراف تحويل الست مها إلى ضحية باعتبارها المرأة التي صدر في حقها حكم الطلاق بعد رحلة زواج تواصلت 26 عاما .

ومها الصغير هي ابنة مصفف الشعر الشهير الراحل محمد الصغير، والذي كان من أبرز مصففي الشعر لنجوم الفن، وقد حصلت على درجة البكالوريوس من كلية الإعلام والسياسة من الجامعة الأميركية بالقاهرة، واشتغلت في قطاع الإعلام وعرفها الجمهور كمذيعة، وتزوجت من نجم كبير في السينما والتلفزيون والمسرح وهو أحمد السقا، ولديها منه ولدان وبنت، وهي بالتالي لم تكن في حاجة إلى سرقة لوحات تشكيلية وتصاميم فنية لتقنع المجتمع بأنها تستحق أن تكون واحدة من نجماته، ولا إلى أن تخطئ في حق نفسها وفي حق الآخرين كما اعترفت بعد انكشاف تلك السرقات. وأعتقد أن الآخرين هنا ليسوا فقط المبدعين ممن سطت على بنات أفكارهم وإنما كذلك الجمهور الواسع الذي سخرت منه عندما استغفلته وعملت على إقناعه بعبقريتها الوهمية.

فجأة انكشف كل أوراق مها الصغير، وتبين أنها متخصصة في استغلال إبداعات الآخرين. الأخطر من ذلك أنه كان هناك من صدقها لسنوات عن قناعة وطيب خاطر، ربما لأنها نجمة في مجالها أو لأنها متزوجة من نجم كبير، وربما لأنها تنتمي إلى الطبقة المخملية. لو قامت سيدة أخرى أقل مستوى بما قامت به الست مها لكانوا نصبوا لها المشانق في ساحة عامة .

السؤال الذي يفرض نفسه هنا: لماذا دفعت مها الصغير بنفسها إلى هذه الوضعية المزرية؟ ولماذا اختارت هذا المجال لتدير فيه أصابعها وفق رغباتها؟ وما الذي كان ينقصها وحاولت أن تكمله بلوحات منهوبة وماركات مسلوبة؟ وهل أن الأمر يتعلق فعلا بمرض نفسي؟ لاسيما أن هوس السرقة هو حالة نفسية يشعر فيها الشخص برغبة لا يمكن السيطرة عليها لسرقة الأشياء. يرى الخبراء أن هوس السرقة هو اضطراب نفسي يشعر فيه الشخص برغبة جامحة لا تُقاوم في سرقة الأشياء. ويدرك المصابون بهذا الاضطراب أن السرقة فعل خاطئ، وقد يوقعهم في مشاكل، وهذا ما اعترفت به الست مها، لكنهم لا يستطيعون منع أنفسهم. وفق الدراسات العلمية فإن النساء أكثر عرضة للإصابة بهوس السرقة بثلاث مرات من الرجال. قد يسرق الرجل ليطعم عياله ، وقد تحاول المرأة أن تثير إعجاب المجتمع بما سرقته من الآخرين أو الأخريات.